

جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

الغفلة دراسة قرآنية

إعداد

نهيل إبراهيم موسى عيسى

إشراف

الدكتور عودة عبد الله

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية.

2014

الغفلة دراسة قرآنية

إعداد

نهيل إبراهيم موسى عيسى

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ: 27 / 2 / 2014م، واجيزت .

التوقيع

.....
.....
.....

أعضاء لجنة المناقشة:

- | | |
|--------------------------|-------------------|
| 1- الدكتور عودة عبد الله | / مشرفاً ورئيساً |
| 2- الدكتور منتصر اسمر | / ممتحناً خارجياً |
| 3- الدكتور محسن الخالدي | / ممتحناً داخلياً |

ب

الإهداء

إلى روح أبي الطاهرة .. وإلى أمي الغالية ..

إلى عائلتي الكريمة ..

إلى أشقائي وشقيقاتي ..

إلى كل مسلم ومسلمة .. أقدم هذا العمل المتواضع، راجيةً من الله سبحانه

وتعالى أن يتقبله مني .. وأن يغفر لي زلتي وتقصيري ..

وأن ينفع به من شاء من أبناء ديني .. في كل زمان ومكان .. إنه قريب

مجيب الدعاء ..

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين . . والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين . . أحمد
سبحانه حمداً طيباً مباركاً فيه . . حمداً وسع السماوات والأرض وما بينهما . . فهو
سبحانه الذي أمدني بالعلم والدين والقدرة على إتمام هذا العمل . . فالحمد والشكر لله
وحده .

ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله؛ لذا فإنني أسدي بالشكر الجزيل إلى أستاذي الدكتور
"عودة عبد الله" الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة، وأشكره؛ لأنه تكرم عليّ بعلمه
ووقته، وما توانى في نصحي وإرشادي، راجيةً الله سبحانه أن ينفع به المسلمين، وأن يجعل
ذلك في ميزان حسناته يوم الدين . كما أشكر أستاذي المناقشين الفاضلين: الدكتور محسن
الخالدي والدكتور منتصر الأسمر اللذين تكرما بقراءة هذه الرسالة وتقويمها .
ولا أنسى أن أقدم الشكر والعرفان إلى أساتذتي الذين تتلمذت على أيديهم: الدكتور جمال
قشوع، والشيخ إبراهيم داود، والشيخ محمود محمد أمين جعيدي .

الإقرار

أنا الموقعة أدناه، مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان:

الغفلة : دراسة قرآنية

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة علمية أو بحث علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's

اسم الطالب:

name:

Signature:

التوقيع

Date:

التاريخ

فهرس المحتويات

ت	الإهداء
ث	شكر وتقدير
ج	إقرار
ح	فهرس المحتويات
د	الملخص
1	المقدمة
8	الفصل الأول: مفهوم الغفلة ودلالاتها في السياق القرآني
9	المبحث الأول : معنى الغفلة في اللغة والاصطلاح
11	المبحث الثاني : معاني الغفلة في القرآن الكريم
14	المبحث الثالث : الغفلة في السياق القرآني
22	المبحث الرابع : نظائر الغفلة في القرآن الكريم
25	المبحث الخامس : أنواع الغفلة
28	الفصل الثاني : أسباب الغفلة في القرآن الكريم
30	المبحث الأول : اتباع الشيطان
31	المبحث الثاني : الجهل بالغاية من الخلق
34	المبحث الثالث: الكفر
38	المبحث الرابع : الظلم
40	المبحث الخامس : الكبر
42	المبحث السادس : الصد عن سبيل الله وسلوك سبيل الغي
44	المبحث السابع : تعطيل الحواس والختم على القلوب
47	المبحث الثامن : صحبة الأشرار
49	المبحث التاسع : اتباع الهوى
51	المبحث العاشر : طول الأمل

54	الفصل الثالث : عقوبة الغافلين في القرآن الكريم
56	المبحث الأول : دخول النار
58	المبحث الثاني : الانتقام
60	المبحث الثالث : الصرف عن آيات الله
62	المبحث الرابع : الخسارة
65	الفصل الرابع : علاج الغفلة في القرآن الكريم
66	المبحث الأول : علو الهمة
68	المبحث الثاني : الذكر
73	المبحث الثالث : العبادة والتوكل على الله، وفيه مطلبان:
73	المطلب الأول: العبادة
74	المطلب الثاني: التوكل على الله
76	المبحث الرابع : صحبة الأبرار، وفيه مطلبان:
76	المطلب الأول: الأخوة الإيمانية
77	المطلب الثاني: التحول عن البيئة المثبطة
79	المبحث الخامس : اليقظة والحذر، وفيه مطلبان:
79	المطلب الأول: اليقظة
80	المطلب الثاني: الحذر
83	المبحث السادس: العلم والعمل به
86	المبحث السابع: الاهتمام بالوقت
88	الفصل الخامس: نماذج لأمر حذر القرآن الكريم من الغفلة عنها
89	المبحث الأول: الغفلة عن آيات الله في الكون والأنفس
93	المبحث الثاني : الغفلة عن آيات الله في القرآن الكريم
97	المبحث الثالث : الغفلة عن الجهاد في سبيل الله وإعداد العدة له
101	المبحث الرابع : الغفلة عن الموت والآخرة
106	المبحث الخامس : الغفلة عن مكر الله وعقابه

109	المبحث السادس : الغفلة عن العهد والميثاق
113	الخاتمة
114	فهرس الآيات الكريمة
121	فهرس الأحاديث الشريفة
123	فهرس المصادر والمراجع
b	الملخص باللغة الإنجليزية

الغفلة

دراسة قرآنية

إعداد

نهيل إبراهيم موسى عيسى

إشراف

الدكتور عودة عبد الله

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بموضوع (الغفلة) في القرآن الكريم، وخطرها على الفرد والمجتمع المسلم، وبيان طرق علاجها والوقاية منها، وقد اتبعت منهجاً استقرائياً تحليلياً، وذلك بجمع الآيات المتعلقة بالموضوع وتفسيرها وجمع أقوال العلماء فيها.

وقسمت هذه الدراسة إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة.

وقد تناولت في الفصل الأول التعريف بالغفلة لغة واصطلاحاً، وبيان دلالاتها في السياق القرآني، وذكر نظائرها وأنواعها في القرآن الكريم.

وفي الفصل الثاني تحدثت عن أسباب الغفلة المتمثلة في: الجهل، والكفر، والظلم، والكبر، والصد عن سبيل الله، وتعطيل الحواس، وصحبة الأشرار، واتباع الهوى، وطول الأمل والاطمئنان إلى الدنيا.

أما الفصل الثالث فاشتمل على عقوبة الغافلين المتمثلة في: انتقام الله سبحانه وتعالى منهم، والصرف عن آيات الله، والخسارة، والخوف، ودخول النار.

في حين خص الفصل الرابع لبيان طريقة القرآن الكريم في علاج الغفلة وذلك بعلو الهمة، وذكر الله، والعبادة والتوكل، وصحبة الأبرار، واليقظة والحذر، والعلم والعمل به، والاهتمام بالوقت.

أما الفصل الخامس فقد جاء لعرض مجموعة من النماذج، لأمو حذر القرآن من الغفلة فيها.

وأخيراً جاءت الخاتمة مشتملة على أهم ما توصلت إليه من نتائج، ومنها: أن المسلمين يعيشون في غفلة، ولا بد من اليقظة والحذر للقيام بحق العبودية لله رب العالمين على الوجه الذي أراد الله سبحانه وفق المنهج الذي امتثله نبينا محمد ﷺ وسار عليه صحابته رضوان الله عليهم.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، الحمد لله الذي خلق البشر حنفاء مسلمين، فقطع عليهم سبيل الاعتذار والاحتجاج، أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، آيات وشرائع تبين للبشر حقيقة الوجود القائم على التوحيد وتدعوهم إلى ضرورة القيام بواجب العبودية الحق لله رب العالمين.

فمن البشر من عرف الله سبحانه، وعبدته حق عبادته، فطوبى لهم.. ومنهم من ضل عن سبيل الله، فكفر وجحد، وذلك هو الخسران المبين.

إن الضلال يتخذ أشكالاً وصوراً متعددة، منها (الغفلة) عن سبيل الله، فمن الناس من يؤمن بالله ولكن يظن أن واجبه انتهى عند إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فترى الكثيرين لا علاقة لمعتقداتهم في حياتهم، ولا وجود لمبادئهم في واقعهم، فتراهم يركنون إلى الدنيا ويلهمهم الأمل فيها والاطمئنان إليها، واتباع الأهواء والشهوات، وقد بيّن لنا ديننا الحنيف أن الدنيا متاع الغرور، والآخرة خير وأبقى.

ومن الناس من اختار الكفر بالله فغفل عن الغاية التي خلق من أجلها البشر، قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾⁽¹⁾، فتراهم يشرك بالله، ويظلم، ويتكبر في الأرض بغير الحق، ويصد عن سبيل الله، فيختم الله سبحانه على قلبه وحواسه فهو كالأنعام بل أضل.

إن الغفلة مصيبة عظيمة، وداء خطير، جدير بنا أن نعرف حقيقته ليسهل علينا علاجه، فلقد غفل الكثيرون عن حقيقة العبودية لله سبحانه وتعالى، فعجزوا عن إقامة هذا الدين في نفوسهم، فلم يهتدوا إلى الصراط المستقيم، وصرفهم الله سبحانه عن آياته في هذا الكون، وانتقم منهم وخسروا دنياهم، وبتكالب الصغائر والكبائر عليهم استحقوا دخول النار في الآخرة.

وليس أدل على خطر الغفلة من الوهن الذي أصاب الأمة بسبب ضعف أبنائها، وهزيمتهم الداخلية، فأضحت عاجزة عن اتخاذ أبسط قرار يضمن حقوق أبنائها في شتى بقاع الأرض. وأضحت عاجزة عن حماية مقدساتها وأمنها، وسلامة حدودها، وممتلكاتها، ومواردها.

(1) (الذاريات : 56).

فيجب على الإنسان أن يهتم بروحه كما يهتم بجسده ولباسه، فقد غفل الكثيرون عن غذاء الروح واهتموا بغذاء الجسد ولباسه ومظهره. فإله سبحانه يعطي المؤمن الإيمان والقوة وحب العلم والعمل، فتقوى عزيمة الفرد، ويمتلك عندها إرادة قوية، توقظ بصره وبصيرته، فيحرص على نفسه وعائلته ومجتمعه وأبناء دينه خاصة وأبناء جنسه عامة، فتعلو همته، وتطلب المعالي فيسير من سبيل إلى آخر ومن هدف إلى أعلى، كما قال الشاعر (المتنبى):

وإذا كانت النفوس عظاماً تعبت في مرادها الأجسام (1)

هكذا بلا توقف ولا فتور ولا كسل، بلا جمود ولا بطالة. فإله سبحانه وتعالى أسأل أن يحميننا من شر الغفلة، وأن يصر هذه الأمة بالسبيل المستقيم الذي سار عليه أولها لتعود للدين عزته وللمسلمين كرامتهم إنه سميع مجيب.

ومن الجدير بالذكر أن الدراسة تتناول الغفلة المذمومة وما يترتب عليها من نتائج ومخاطر.

الدراسات السابقة:

إن مادة هذه الدراسة مثل كل الدراسات القرآنية تأتي من خلال آيات القرآن الكريم التي جاء الحديث عنها في كتب التفسير والسنة النبوية المطهرة وفي ثلث كتب الأخلاق ومن المؤلفات السابقة فيه:

- 1- الغفلة "مفهومها وخطرها وعلاماتها وأسبابها وعلاجها" (2) للدكتور القحطاني، حيث بين الدكتور مفهوم الغفلة، والفرق بينها وبين النسيان، وخطر الغفلة، وأنها مرض فتاك مهلك، وبيّن علاماتها التي من اتصف بها فهو من الغافلين، وذكر أسبابها وعلاجها بإيجاز.
- 2- (الغفلة المهلكة) (3) للدكتور بدر هميسة، تحدث الدكتور عن الغفلة من منطلق كونها حجاب عظيم على القلب يجعل بين الغافل وبين ربه وحشة عظيمة لا تزول إلا بذكر الله وبين أن الغفلة سبب إلى تمكن الشيطان من ابن آدم واستيلائه على قلبه وذكر تحذير القرآن منها وضرورة أن يتفقد المؤمن الحق قلبه دائماً ولا يدعه يعتاد الغفلة.

(1) المتنبى، أحمد بن الحسين الجعفي أبو الطيب (ت: 354 هـ): ديوان المتنبى. بلا طبعة. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر. 1403 هـ - 1983 م. ص (261).

(2) القحطاني، سعيد بن وهف، الغفلة (مفهومها وخطرها وعلاماتها وأسبابها وعلاجها)، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، (1427 هـ).

(3) هميسة، بدر عبد الحميد، الغفلة المهلكة، (1432 هـ - 2010 م).

- 3- الغفلة ⁽¹⁾ لمحمد صالح المنجد، حيث ذكر المؤلف الموقف الشرعي من الغفلة بالإضافة إلى أقسامها وأسبابها وعقوبتها وعلاجها.
- 4- الغفلة في القرآن الكريم (أسبابها وآثارها وطرق علاجها) ⁽²⁾، إدريس علي الطيب، دراسة تتكون من (36) صفحة بين فيها الباحث الأمور المتعلقة بالغفلة من حيث الأسباب التي توقع العبد فيها والآثار التي تترتب على ذلك كما بين بعض الطرق التي تفيد في علاج الغفلة.
- 5- (آيات الغفلة والنسيان في القرآن الكريم - دراسة موضوعية) ⁽³⁾، إبراهيم الحكي، رسالة ماجستير تتكون من (603) صفحات، حيث ذكر الباحث معاني الغفلة، والفرق بينها وبين النسيان، وتكلم عن نفي الغفلة عن الله سبحانه وتعالى، وعن غفلة المؤمنين عن الرذائل.
- 6- (الغفلة والنسيان أسبابهما وأعراضهما وعلاجهما على ضوء القرآن الكريم) ⁽⁴⁾، وفاء الخطابي. لم يتم العثور على أية معلومات عن محتوى هذه الرسالة.
- 7- (الغفلة في آيات القرآن الكريم) ⁽⁵⁾، محمد داود بابيهون تمزغين، لم يتم العثور على أية معلومات عن محتوى هذه الرسالة.

وتختلف هذه الدراسة عن الدراسات السابقة :

بأنها تسيّر على طريقة التفسير الموضوعي في معالجة هذه المسألة من حيث تحديد مصطلح الغفلة، وضبط صيغ ورودها في القرآن الكريم، والاهتمام بالسياق وبالمخاطب ومناسبة الآيات التي وردت فيها ثم التطرق إلى مواضيع ذات صلة بموضوع الغفلة وربط ذلك بالواقع من حيث تضييع أوقات الكثيرين بما لا فائدة فيه وغفلتهم عن المعنى الحق للعبودية وواجب الإنسان تجاه خالقه.

أهمية الدراسة :

1. خدمة كتاب الله لأنها في مجال الدراسات القرآنية وبيان صلاحية القرآن لكل زمان ومكان.
2. ارتباطها بواقع المجتمع المسلم لأنها تعالج آفة خطيرة يعاني منها الفرد والجماعة .
3. فيها الكثير من الدروس والعبر من خلال ذكر نماذج من الغافلين في القرآن الكريم.

(1) المنجد، محمد صالح، الغفلة (مفسدات القلوب) ، مجموعة زاد لنشر الخبر، السعودية (ط 1 / 1430 هـ - 2009 م).

(2) الطيب، إدريس علي، الغفلة في القرآن الكريم. مجلة دراسات دعوية. جامعة إفريقيا العالمية/ السودان. عدد 14 / يوليو 2007م.

(3) الحكي، إبراهيم بن علي بن ولي، آيات الغفلة والنسيان في القرآن الكريم. جامعة محمد ابن سعود الإسلامية. 1423 هـ.

(4) الخطابي، وفاء دخيل الله. الغفلة والنسيان أسبابهما وأعراضهما وعلاجهما على ضوء القرآن الكريم. الرئاسة العامة لتعليم البنات. السعودية. 1420هـ.

(5) تمزغين، محمد داود بابيهون. الغفلة في آيات القرآن الكريم. رسالة ماجستير غير منشورة. الأردن - جامعة آل البيت. 2006م.

أسباب اختيار الموضوع :

1. التعرف على ما جاء في كتاب الله سبحانه حول هذا الموضوع.
2. خطورة هذا الموضوع وأهميته في هذا الزمان بعدما عانت الأمة من المصائب والابتلاءات فقعدت الهمم واستسلمت الأمة للواقع المرير.

أهداف الدراسة:

1. إبراز ما جاء في كتاب الله حول موضوع (الغفلة).
2. زيادة الوعي حول هذا الداء الخطير عن طريق بيان أسبابه ونتائجه.
3. بيان سبل الوقاية والعلاج من الغفلة.
4. المساهمة في بناء مجتمع سليم صحيح خال من الأمراض، قادر على تحقيق الخلافة في الأرض وتحقيق العبودية لله رب العالمين.

مشكلة الدراسة :

تسعى هذه الدراسة للإجابة عن التساؤلات التالية:

ما الغفلة؟ وكيف تحدث عنها القرآن الكريم؟

وما أسبابها ونتائجها؟

وما أهم سبل علاجها كما عرضها القرآن الكريم؟

وما أهم الأشياء التي يغفل عنها الناس؟

فرضيات الدراسة :

1. إن القرآن الكريم تناول موضوع (الغفلة) بشكل كامل مستوفى لأهمية هذا الموضوع وارتباطه بحياة الفرد والجماعة فقد تحدثت الآيات عن أنواع الغفلة وأسبابها.
2. وضح القرآن الكريم منهجاً متكاملًا لعلاج هذا الداء الخطير مع ما يتناسب وحاجة المجتمع المسلم.
3. ذكرت الآيات في مواضع مختلفة من القرآن نماذج للمغفل عنه، ونماذج للغافلين كفرعون وكفار قريش وغيرهم.

منهجية الدراسة :

المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي وذلك بإتباع الخطوات الآتية:

1. تتبع الآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع.
2. النظر في أقوال المفسرين في تفسيرهم للآيات القرآنية التي تحدثت عن موضوع الغفلة.
3. الاستعانة بالأحاديث الصحيحة والأقوال والحكم والأشعار وغيرها من الشواهد.
4. اتباع المنهج العلمي في التوثيق بذكر اسم المؤلف والكتاب والجزء والصفحة.
5. بيان الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية في الهامش.
6. تخريج الأحاديث ونسبتها إلى مصادرها.
7. كتابة خاتمة بأهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال البحث.

خطة الدراسة

الفصل الأول : مفهوم الغفلة ودلالاتها في السياق القرآني

المبحث الأول : معنى الغفلة في اللغة والاصطلاح

المبحث الثاني : معاني الغفلة في القرآن الكريم

المبحث الثالث : الغفلة في السياق القرآني

المبحث الرابع : نظائر الغفلة في القرآن الكريم

المبحث الخامس : أنواع الغفلة

الفصل الثاني : أسباب الغفلة في القرآن الكريم

المبحث الأول : اتباع الشيطان

المبحث الثاني : الجهل بالغاية من الخلق

المبحث الثالث : الكفر

المبحث الرابع : الظلم

المبحث الخامس : الكبر

المبحث السادس : الصد عن سبيل الله وسلوك سبيل الغي

المبحث السابع : تعطيل الحواس والختم على القلوب

المبحث الثامن : صحبة الأشرار

المبحث التاسع : اتباع الهوى

المبحث العاشر : طول الأمل

الفصل الثالث : عقوبة الغافلين في القرآن الكريم

المبحث الأول : دخول النار

المبحث الثاني : الانتقام

المبحث الثالث : الصرف عن آيات الله

المبحث الرابع : الخسارة

الفصل الرابع : علاج الغفلة في القرآن الكريم

المبحث الأول : علو الهمة

المبحث الثاني : الذكر

المبحث الثالث : العبادة والتوكل على الله

المبحث الرابع : صحبة الأبرار

المبحث الخامس : اليقظة والحذر

المبحث السادس : العلم والعمل به

المبحث السابع : الاهتمام بالوقت

الفصل الخامس : نماذج لأمر حذر القرآن الكريم من الغفلة عنها

المبحث الأول : الغفلة عن آيات الله في الكون والأنفس

المبحث الثاني : الغفلة عن آيات الله في القرآن الكريم

المبحث الثالث : الغفلة عن الجهاد في سبيل الله وإعداد العدة له

المبحث الرابع : الغفلة عن الموت والآخرة

المبحث الخامس : الغفلة عن مكر الله وعقابه

المبحث السادس : الغفلة عن العهد والميثاق

الفصل الأول

مفهوم الغفلة ودلالاتها في السياق القرآني

المبحث الأول : معنى الغفلة في اللغة والاصطلاح

المبحث الثاني : معاني الغفلة في القرآن الكريم

المبحث الثالث : الغفلة في السياق القرآني

المبحث الرابع : نظائر الغفلة في القرآن الكريم

المبحث الخامس : أنواع الغفلة

المبحث الأول

معنى الغفلة في اللغة والاصطلاح

الغفلة لغة:

يرى ابن فارس أن " الغين والفاء واللام أصل صحيح يدل على ترك الشيء سهواً، وربما كان عن عمد، من ذلك: غَفَلْتُ عن الشيء غَفْلَةً وَغَفُولاً وذلك إذا تركته ساهياً. وأَغْفَلْتُهُ إذا تركته على ذكر منك له".⁽¹⁾

وقال الراغب الأصفهاني: "الغَفْلَةُ سَهْوٌ يعتري الإنسان من قلة التحفّظ والنتيْقْظ، يقال: غَفَلَ فهو غافل... وأَرْضُ غَفْلٍ: لا منار بها، ورجل غَفْلٌ: لم تَسِمُهُ التجارب، وإِغْفَالَ الكتاب: تركه غير معجم".⁽²⁾

نستنتج مما سبق أن الغفلة تطلق على ترك الشيء، وهذا الترك إما أن يكون سهواً بسبب قلة التحفّظ والنتيْقْظ أو عمداً.

الغفلة اصطلاحاً :

قال أبو البقاء الكفوي: "الغفلة عدم إدراك الشيء مع وجود ما يقتضيه"⁽³⁾. وعرفها الجرجاني بقوله: "الغفلة متابعة النفس على ما تشتهي. وقال سهل: الغفلة إبطال الوقت بالبطالة. وقيل: الغفلة عن الشيء هي أن لا يخطر ذلك بباله"⁽⁴⁾.

(1) ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا (ت: 395 هـ) : معجم مقاييس اللغة. 6 مج. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط2. بيروت، لبنان : دار الجيل. 1420 هـ - 1999م. 386/4. وانظر: ابن منظور، محمد بن مكرم الإفرقي المصري (ت: 175 هـ) : لسان العرب . 15 مج. بيروت: دار الصادر. ط 1/1410 هـ. 497/11-498.

(2) الأصفهاني، الحسين بن محمد بن الفضل الراغب (ت: 502 هـ) : المفردات في غريب القرآن . تحقيق: محمد سيد كياني . لبنان : دار المعرفة. 362/1. وانظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي (ت: 538 هـ) : أساس البلاغة : دار الفكر . 1399 هـ - 1979 م. 1/453. وانظر: مصطفى، إبراهيم وآخرين: المعجم الوسيط. تحقيق: مجمع اللغة العربية : دار الدعوة . 1381 هـ - 1961م. 657/2.

(3) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت: 1094 هـ) : الكليات. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1419 هـ - 1998م. ص 506.

(4) الجرجاني، علي بن محمد الشريف (ت: 816 هـ) : التعريفات . بيروت : مكتبة لبنان. 1985م. ص 168.

أما المَنَاوي فيقول: "الغفلة فقد الشعور بما حقه أن يشعر به".⁽¹⁾

وقيل هي: "انتفاء العلم لعدم توجه الذهن إلى المعلوم".⁽²⁾

ونسنتج من هذه التعريفات: أن الغفلة تكون إهمالاً لوجود ما يقتضي إدراك الأمور، وقد تكون نتيجة لهوى النفس وملء الأوقات بما لا طائل منه، وقد تكون نتيجة للجهل واللا شعور. وبالنظر إلى المعنى الاصطلاحي نجد أن هناك ترابطاً بينه وبين المعنى اللغوي، فهما يشتركان في الدلالة على ترك الشيء سهواً أو تقصيراً أو إهمالاً.

(1) المَنَاوي ، عبد الرؤوف (ت : 1031 هـ) : التوقيف على مهمات التعاريف . تحقيق : عبد الحميد صالح حمدان . ط: 1 . القاهرة : عالم الكتب 1410 هـ - 1990 م ص 352 .

(2) ابن عاشور ، محمد الطاهر (ت : 1284 هـ) : التحرير والتنوير ، 12 مج . تونس : دار سحنون . 1997 م . 204/12 .

المبحث الثاني

معاني الغفلة في القرآن الكريم

بعد النظر والبحث في الآيات القرآنية تبين أن لكلمة (الغفلة) عدة معان على النحو التالي:

أولاً: السهو: فقد جاءت الغفلة بمعنى السهو في مواضع عدة من القرآن الكريم هي:

1. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغَفَّلُوا﴾⁽¹⁾. أي تمنى الكافرون لو تشتغلون بصلاتكم عن أسلحتكم فتسهون عنها⁽²⁾.
2. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً﴾⁽³⁾ "ولا تحسبن الله يا محمد غافلاً ساهياً"⁽⁴⁾.
3. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾⁽⁵⁾ "هم الساهون عما أعد الله لأمثالهم"⁽⁶⁾.
4. ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾⁽⁷⁾ "أنهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم أنه لا بد من جزاء المحسن والمسيء"⁽⁸⁾.

ثانياً: الانشغال عن الشيء:

كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾⁽⁹⁾ مشتغلون بالرعي⁽¹⁰⁾.

(1) (النساء : 102).

(2) انظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد (ت: 310 هـ) : جامع البيان عن تأويل آي القرآن . بيروت: دار الفكر . 1405 هـ . 259/5.

(3) (إبراهيم : 42).

(4) الطبري. جامع البيان. 236/13.

(5) (النحل : 108).

(6) الطبري. جامع البيان. 183/14.

(7) (الأنبياء : 1).

(8) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت: 721 هـ): التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب. 32 ج. ط: 1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1421 هـ - 2000 م. 121/22.

(9) (يوسف : 13).

(10) انظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي محمد (ت: 597 هـ) : زاد المسير في علم التفسير. 9 ج. ط: 3. بيروت: المكتب الإسلامي. 1404 هـ . 188/4.

ثالثاً: الإعراض وعدم الاعتبار:

كما في قوله تعالى: ﴿وَكَاثُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾⁽¹⁾ "غير معتبرين بها".⁽²⁾ والمقصود "وهم في غفلة عن حسابهم وعما يفعل بهم ثم معرضون عن التأهب لذلك اليوم".⁽³⁾

رابعاً: الجهل:

1. ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾⁽⁴⁾ "يعني وأن الشأن والحديث كنت من قبل إحيائنا إليك من الجاهلين به".⁽⁵⁾

2. ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾⁽⁶⁾، قال ابن كثير: "أي أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وأكسابها وشؤونها وما فيها منهم حذاق أذكاء في تحصيلها ووجوه مكاسبها وهم غافلون في أمور الدين وما ينفعهم في الدار الآخرة".⁽⁷⁾

3. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾⁽⁸⁾ "أي لا يعلمون شيئاً مما فيها".⁽⁹⁾

4. ﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾⁽¹⁰⁾ "أي لم ندرس مثل دراستهم ولم نعرف ما درسوا من الكتب فلا حجة علينا".⁽¹¹⁾

(1) (الأعراف: 136).

(2) (الواحي، علي بن أحمد أبو الحسن (ت: 468 هـ) : الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. 2 ج. ط: 1. دمشق: دار القلم . 1415 هـ. 410/1.

(3) (النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (ت: 701 هـ) : مدارك التنزيل وحفائق التأويل. 4 ج. 73/3.

(4) (يوسف: 3).

(5) (النسفي، مدارك التنزيل. 178/2.

(6) (الروم: 7).

(7) (ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت: 774 هـ) : تفسير القرآن العظيم. 4 ج . بيروت: دار الفكر . 1401 هـ. 428/3.

(8) (الأعراف : 146).

(9) (ابن كثير . تفسير القرآن العظيم. 248/2.

(10) (الأنعام : 156).

(11) (الكلبي، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي (ت: 741 هـ) : التسهيل لعلوم التنزيل. 4 مج. لبنان: دار الكتاب العربي. 1403 هـ - 1983 م. 27/2.

خامساً: اللهو واللعب:

1. ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾⁽¹⁾ "غافلون في اللعب".⁽²⁾
2. ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾⁽³⁾ "من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه".⁽⁴⁾
3. ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾⁽⁵⁾ "إنه كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم".⁽⁶⁾

(1) (يوسف : 13).

(2) ابن الجوزي . زاد المسير . 188/4.

(3) (الأعراف: 205).

(4) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي (ت: 538 هـ) :الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. 4 ج. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. بيروت : دار إحياء التراث العربي. 182/2.

(5) (القصص: 15).

(6) الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم (ت: 741 هـ) : لباي التأويل في معاني التنزيل. 7 ج. بيروت : دار الفكر . 1399 هـ - 1979 م. 166/5.

المبحث الثالث

الغفلة في السياق القرآني

أولاً : مادة (غفل) وتصريفاتها في القرآن الكريم ⁽¹⁾:

الرقم	المفردة وعدد مرات ورودها	الشاهد	السورة	رقم الآية	بيان المكي والمدني من الآيات
1	تغفلون - مرة واحدة	﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ﴾	النساء	102	مدنية
2	أغفلنا - مرة واحدة	﴿وَلَا نُنْطَعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبُهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾	الكهف	28	مكية
3	بغافل - تسع مرات	﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾	البقرة	74	مدنية
		﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾	البقرة	85	مدنية
		﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ﴾	البقرة	140	مدنية
		﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾	البقرة	144	مدنية
		﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾	البقرة	149	مدنية
		﴿تَبْعُوهَا عَوْجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾	آل عمران	99	مدنية
		﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ﴾	الأنعام	132	مكية

(1) انظر: مادة (غفل) عند، عبد الباقي، محمد فؤاد (ت: 1388هـ): المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. مصر: دار الكتب المصرية. 1364 هـ. ص: 614-615.

			عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٠﴾		
مكية	123	هود	﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾		
مكية	93	النمل	﴿سِيرِكُمْ ءَايَتِهِ فَنَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾		
مكية	42	إبراهيم	﴿وَلَا تَحْسَبِ أَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾	4	غافلاً - مرة واحدة
مكية	131	الأنعام	﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾	5	غافلون - تسع مرات
مكية	179	الأعراف	﴿أُولَئِكَ كَانُوا لَآتِيَةً بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ		
مكية	7	يونس	﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ﴾		
مكية	92	يونس	﴿وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾		
مكية	13	يوسف	﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾		
مكية	108	النحل	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ		
مكية	7	الروم	﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾		
مكية	6	يس	﴿لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾		
مكية	5	الأحقاف	﴿وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾		
مكية	156	الأنعام	﴿وَإِنْ كُنَّا عَن دَرَسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾	6	غافلين - ثماني مرات
مكية	136	الأعراف	﴿فَأَعْرِضْهُمْ فِي أَيْمَنِ بَآئِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾		

مكية	146	الأعراف	﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾		
مكية	172	الأعراف	﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾		
مكية	205	الأعراف	﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾		
مكية	29	يونس	﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾		
مكية	3	يوسف	﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾		
مكية	17	المؤمنون	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾		
مدنية	23	النور	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾	7	الغافلات - مرة واحدة
مكية	39	مريم	﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	8	غفلة - خمس مرات
مكية	1	الأنبياء	﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾		
مكية	97	الأنبياء	﴿يَتَوَلَّوْنَ قَدَ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾		
مكية	15	القصص	﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾		
مكية	22	ق	﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾		

ثانياً : اللطائف واللفظات والمعاني لمادة (غفل) وتصريفاتها في القرآن الكريم:

1. الفعل المضارع (تغفلون) : ورد مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ

أَسْلِحَتِكُمْ﴾⁽¹⁾. والمعنى: "ودوا غفلتكم عن أخذ السلاح وعن الحذر ليصلوا إلى مقصودهم"⁽²⁾. و(لو) حرف امتناع لامتناع، ولذا من شأنها أن تدخل على الماضي لكنها قد تدخل على المضارع، ودخولها عليه لغرض بياني، وهو استمرار الفعل وقتاً بعد وقت وعدم انحصاره في زمن معين فحسب. وإنما عدل عن الماضي إلى المضارع لتتنزله منزلة الماضي لأنه كلام الله الذي لا تتخلف أخباره أبداً. بالإضافة إلى أمر آخر، وهو أنه قصد به استحضار الصورة كأنما هي مرئية رأي العين، وهذا أكثر تأثيراً في النفس.⁽³⁾

2. الفعل الماضي (أغفلنا) : ورد مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَلَا نُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا

وَاتَّبَعْ هَوَاهُ﴾⁽¹⁾، والمعنى: من جعلنا قلبه غافلاً عن الذكر بالخذلان⁽²⁾. ويلحظ أن وروده هنا جاء في سياق النهي وهو الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء.⁽³⁾

3. اسم الفاعل : وهي أكثر الصور التي وردت فيها هذه المادة في القرآن الكريم، فقد وردت سبعاً وعشرين مرة (بغافل، غافلاً، غافلون، غافلين، غافلات).

أولاً: بغافل.

وردت تسع مرات على هذه الصورة، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾⁽⁴⁾. وعند تدقيق النظر في الآيات القرآنية التي وردت فيها هذه الصورة يتبين أن فيها وعيد شديد لبني إسرائيل على ما هم عليه من قساوة القلوب وما يترتب عليها من الأعمال السيئة فيدخل فيها كتمان شهادته سبحانه وافترائهم على الأنبياء وعنادهم للحق وكفرهم.⁽⁵⁾ ثم إن الله سبحانه لم

(1) (النساء : 102).

(2) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت: 1255 هـ) :فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. 5 ج. بيروت : دار الفكر. 1/ 509.

(3) انظر: عباس، فضل (ت: 1432 هـ) : البلاغة فنونها وأفانها. ط4. الأردن: دار الفرقان للنشر والتوزيع. 1417 هـ - 1997 م. 351-352.

(1) (الكهف : 28).

(2) انظر: أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (ت: 745 هـ) . البحر المحيط. 8 ج. تحقيق: د. زكريا عبد المجيد النوقي، د. أحمد النجولي الجمل، ط: 1. لبنان : دار الكتب العلمية. 1422

هـ - 2001 م. 6/ 114.

(3) انظر: عباس، فضل. البلاغة فنونها وأفانها. 154.

(4) (البقرة : 74).

(5) انظر: البيضاوي، أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي(ت: 685 هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل . بلا طبعة. بيروت: دار الفكر. بلا تاريخ. 156/1. أبو

السعود، محمد بن محمد العمادي (ت: 951 هـ): إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . بيروت : دار إحياء التراث العربي. 1 / 175,170,115. الآلوسي، أبو

الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي (ت: 1270 هـ) :روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. 30 ج. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 16/2. ابن

كثير . تفسير القرآن العظيم. 388/1.

يكن بالذي يؤاخذ الجن والإنس غفلة بل لم يعاجل أهل القرى بالعقوبة حتى يبعث إليهم رسولا. (6)
ويريهم الآيات المبنوثة في هذا الكون وهو سبحانه ليس بغافل عما يعملون بل هو شهيد على كل شيء. (7)

وجاءت في هذه المواضع جميعها بعد ما الحجازية العاملة عمل ليس. قال ابن عقيل: "ولغة أهل الحجاز إعمال (ما) كعمل ليس لشبهها بها في أنها لنفي الحال عند الإطلاق". (1)

ثانياً: غافلاً:

وردت مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ (2) والمعنى: وأعلم المشركين يا محمد "أن تأخير العذاب ليس للرضا بأفعالهم بل سنة الله إمهال العصاة مدة". (3)

ثالثاً: غافلون:

وردت على هذه الصورة في تسعة مواضع. جاءت في موضع الرفع على خبر الابتداء أو في محل نصب حال. (4) وذلك للإخبار عن الكفار الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والعصيان وبيان حالهم، ففي قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (5) "تشبيه اليهود بالأنعام بل بما هو دون الأنعام ارتكاساً وسفهاً وتدنياً في مهابط الرذيلة والآثام" (6) واستخدام أسلوب الجمع والتعريف لإظهار كامل الغفلة (7).

(6) انظر: ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. 179/2.

(7) انظر: المرجع السابق. 380/3.

(1) العقيلي، عبد الله بن عبد الرحمن الهمداني (ت: 769هـ): شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحه الجليل . ج4. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة: مكتبة دار التراث. 1420 هـ - 1999 م. 302/1.

(2) (إبراهيم : 42).

(3) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت: 671هـ): الجامع لأحكام القرآن. بلا طبعة. القاهرة: دار الشعب. بلا تاريخ. 376/9.

(4) انظر: الدرويش، محيي الدين (ت: 1403 هـ) : إعراب القرآن الكريم وبيانه . 10 مج. ط3. سوريا: دار الإرشاد للشؤون الجامعية. 1412 هـ - 1992 م. 227/3، 499/3، 210/4، 293/4، 459/4، 374/5، 472/7، 175/8، 168/9.

(5) (الأعراف: 179).

(6) الدرويش، محيي الدين. إعراب القرآن. 500/3.

(7) انظر: الألوسي. روح المعاني. 239/14.

رابعاً: غافلين:

جاءت على هذه الصورة في ثمانية مواضع. وهي جميعها في موضع النصب على خبر كان (1) واقتربنا باللام الفارقة بين إن المخففة وإن النافية في بعض المواضع (2)، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ﴾ (3) والمعنى في معظم الآيات التي تناولت هذه الصيغة بيان أهم أسباب الغفلة (4). وبيان قدرة الله في خلق السماوات والأرض وحفظه للخلق (5) والدعوة إلى عبادته سبحانه (6).

خامساً: غافلات:

جاءت في موضع واحد في سورة النور. وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (7). فالغافلات المؤمنات في موضع العطف على المحصنات التي هي مفعول به (8). والمعنى وعيد لمن قذف المحصنات الغافلات المؤمنات، "والغافلة عن الفاحشة التي لا يقع في قلبها فعل الفاحشة" (9).

(1) انظر: الدرويش، محيي الدين، إعراب القرآن، 442/3، 453/3، 492/3، 522/3، 240/4، 449/4، 502/6.

(2) انظر: المرجع السابق، 282/3.

(3) (الأنعام: 156).

(4) انظر: الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 383/1، 538. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق الأندلسي (ت: 541هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 5 ج. تحقيق: عبد الله إبراهيم الأنصاري، السيد عبد العال السيد إبراهيم، ط: 1. قطر: مؤسسة دار العلوم للطباعة والنشر، 1405 هـ-1985م، 446/2، 454. الشوكاني، فتح القدير، 263/2، 440.

(5) انظر: المحلي والسيوطي، جلال الدين محمد بن أحمد (ت: 864 هـ). وجمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911 هـ): تفسير الجلالين، ط: 1. القاهرة: دار الحديث، 447/1.

(6) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 282/2.

(7) (النور: 23).

(8) انظر: الدرويش، محيي الدين، إعراب القرآن، 586/6.

(9) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد (ت: 516 هـ): معالم التنزيل، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، بلا طبعة، بيروت: دار المعرفة، بلا تاريخ، 334.

4. المصدر (غفلة) :

جاءت على هذه الصورة في خمسة مواضع في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾⁽¹⁾ والمعنى في معظم الآيات التي تناولت هذا المصطلح التركيز على اقتراب الساعة وغفلة الإنسان عن ذلك اليوم.⁽²⁾

ثالثاً: ملاحظات عامة في ورود لفظة (غفل) في القرآن الكريم :

1. وردت مادة (غفل) في القرآن الكريم خمساً وثلاثين مرة، في إحدى وعشرين سورة، سبع عشرة منها مكية، وأربع مدنية.
2. إن ورودها في هذا العدد من السور المكية راجع لكون السور المكية تحدثت عن التوحيد، وركزت على إقامة أصوله في النفوس، وربط المبدأ بالمعاد والبعث، وضرورة بناء النفس الإنسانية على أسس سليمة من المبادئ المتعلقة بأهمية يقظة الإنسان وتبصره بالغاية التي خلق من أجلها، وهي تحقيق العبودية لله رب العالمين، وخطر الغفلة عن هذه الغاية.
3. إن أكثر السور التي تناولت هذا اللفظ هما سورتا البقرة والأعراف، حيث وردت في خمسة مواضع في كل منهما. وعند الرجوع إلى كتب التفسير نجد أن المحور العام لكلا السورتين على النحو الآتي:

أ - في سورة البقرة : تبين السورة نكول بني إسرائيل عن حمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض، ونقضهم لعهد الله بخصوصها وتجريدتهم من شرف الانتساب الحقيقي لإبراهيم عليه السلام، وتبصر الجماعة المسلمة وتحذرها من العثرات التي سببت تجريد بني إسرائيل من هذا الشرف العظيم، فتاريخ بني إسرائيل حافل بالكفر والالتواء والكيد والقسوة.⁽³⁾ فناسب تذكيرهم بين الحين والحين بكون الله سبحانه بصيراً بأعمالهم مطلعاً عليهم وإمهالهم ليس غفلة عنهم وإنما هي سنة الله سبحانه في إمهال العصاة.

ب - في سورة الأعراف : تعرض السورة موضوع العقيدة في مجال رحلة البشرية وانطلاقها إلى الأرض تعمل وتسعى وتكد وتنشقى، ثم ها هي ذي راجعة إلى ربها

(1) (مريم : 39).

(2) انظر: السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث (ت: 373 هـ): بحر العلوم . تحقيق: محمود مطرجي . بلا طبعة. بيروت: دار الفكر . 375/2، 419. الشوكاني.

فتح القدير. 427/3 ، 76/5.

(3) انظر : قطب، سيد بن إبراهيم (ت: 1385 هـ) : في ظلال القرآن . 6 مج. الطبعة الشرعية الأولى 1972م، الطبعة الشرعية الخامسة والعشرون 1996م. القاهرة: دار

الشروق . 28/1.

الذي أطلقها في هذا المجال، وبين الغدو والرواح تعرض معارك الحق والباطل، معارك الهدى والضلال، معارك الرهط الكريم من الرسل والمؤمنين مع الملاك المتكبرين، وتعرض مصارع المكذبين بين الحين والحين حيث يقف السياق عليها للتذكير والتحذير.⁽¹⁾

4. ذكرت الآيات في سور (الأنعام، والنحل، والروم، والأعراف) بعض أسباب الغفلة المتمثلة في: الجهل بالغاية من الخلق، والطبع على القلوب، والاطمئنان إلى الدنيا.
5. جاءت الغفلة في سياق النهي في مجالين في القرآن الكريم:
أ - تنهى الآيات عن اعتقاد الغفلة بحق الله تعالى، فإله سبحانه خلق المخلوقات وليس بغافل عنها ويمهل العصاة وليس بغافل عنهم كما في سورة البقرة.
ب - من ناحية اجتماعية تنهى الإنسان عن طاعة الكافر المتبع هواه الغافل عن ذكر الله وذلك في سورة الكهف.
6. وردت الغفلة في سياق المدح وذلك في مجال الدفاع عن المؤمنات الغافلات المحصنات وعقوبة قذفهن وذلك في موضع واحد في سورة النور.
7. وردت الغفلة في مجال وصف الجمادات والأصنام بها وذلك في سورة الأحقاف.
8. وردت الغفلة في سياق التمني. في سورة النساء. حيث جاءت في معرض حديث الآيات عن صلاة الخوف وتمني المشركين غفلة المؤمنين عن أسلحتهم.
9. وردت الغفلة في مجال كونها فترة زمنية تنتهز فيها الأفعال وذلك في موضعين من القرآن:
أولهما: في مجال خوف يعقوب عليه السلام أن يأكل الذئب يوسف عليه السلام في حال انشغال إخوته وغفلتهم عنه وذلك في سورة يوسف.
ثانيهما: دخول موسى عليه السلام مصر وقت الظهيرة منتهزاً فرصة خلود الناس للراحة وذلك في سورة القصص.

المبحث الرابع

نظائر الغفلة في القرآن الكريم

(1) انظر : قطب، سيد. في ظلال القرآن. 8/ 3-4.

أولاً: السَّمَدُ.

هو الغفلة والذهاب عن الشيء. والسمود في الناس غفلة وسهو عن الشيء، ويكون سروراً وحزناً.⁽¹⁾

قال تعالى: ﴿وَصَحَّحُوا وَلَا تَبْكَوْا ۖ وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ﴾⁽²⁾. أي "لا هون غافلون"⁽³⁾.

والآيات تتحدث عن بعض العرب حين نزول القرآن، كانوا إذا سمعوه تغنوا ولعبوا وأعرضوا.⁽⁴⁾

ثانياً: السهو.

"السهو خطأ عن غفلة، وذلك ضربان: أحدهما أن لا يكون من الإنسان جوالبه ومولداته كمجنون

سب إنساناً، والثاني أن يكون من مولداته كمن شرب خمراً ثم ظهر منه منكر لا عن قصد إلى

فعله. والأول معفو عنه والثاني مأخوذ به، وعلى نحو الثاني ذم الله تعالى فقال: ﴿فِي غَمْرٍ

سَاهُونَ﴾-﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾⁽⁵⁾.

قال تعالى: ﴿قُلِ الْخَرَصُونَ ۖ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرٍ سَاهُونَ﴾⁽⁶⁾. والآيات تتحدث عن الكذابين

أصحاب القول المختلف، وتلعنهم، فهم في جهل يغمرهم، لأنهم ساهون غافلون عن أمر الآخرة.⁽⁷⁾

وقوله سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۚ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾⁽⁸⁾ وفي مناسبة هذه

الآيات" يروى أن هذه السورة نزلت في بعض المضطرين في الإسلام بمكة الذين لم يحققوا فيه

وفتتوا فافتتتوا وكانوا على هذه الخلق من الغشم وغلظ العشرة والفظاظة على المسلمين وربما كان

بعضهم يصلي أحياناً مع المسلمين مدافعة وحيرة". وفي قوله تعالى ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾

قولان: (1)

1. هم الذين يؤخرونها عن وقتها تأخير ترك وإهمال.

2. هم التاركون لها الذين لا يبالي أحدهم صلى أو لم يصل.

(1) انظر: ابن منظور. لسان العرب. 219/3.

(2) (النجم: 60-61).

(3) البغوي. معالم التنزيل. 257/4.

(4) انظر: المرجع السابق. 257/4.

(5) الأصفهاني. المفردات في غريب القرآن. 246/1.

(6) (الذاريات: 10-11).

(7) انظر: الجلالين. تفسير الجلالين. 693/1.

(8) (الماعون: 4-5).

ثالثاً: السكر.

"هو غفلة تعرض بغلبة السرور على العقل بمباشرة ما يوجبها من الأكل والشرب"⁽²⁾.

قال الليث: السكر : نقيض الصحو. وهو على ثلاثة: سكر الشراب، وسكر المال، وسكر السلطان⁽³⁾.

قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَةٍ يَمَّهُونَ﴾⁽⁴⁾ يقسم الله سبحانه بحياة محمد ﷺ أن قوم لوط كانوا في ضلالتهم وغفلتهم يتردون ، وذلك عندما جاءت الملائكة فأسرع قومه إليه يطمعون في الفاحشة، فدعاهم لوط إلى ترك ما يريدون وإلى التزوج ببناته⁽⁵⁾.

رابعاً: اللهو.

"وهو ما لهوت به ولعبت به وشغلك من هوى وطرب. يقال: لهوت بالشيء ألهو به لهواً وتلهيت به إذا لعبت به وتشاغلته وغفلت به عن غيره"⁽⁶⁾. "وقيل: اللهو: الميل عن الجد إلى الهزل واللعب ترك ما ينفع بما لا ينفع، وقيل: اللهو الإعراض عن الحق. واللعب الإقبال على الباطل"⁽⁷⁾. قال تعالى: ﴿لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ بُصُورُونَ﴾⁽⁸⁾ "أي غافلة قلوبهم"⁽⁹⁾ والآيات تتحدث عن اقتراب يوم القيامة وعدم تأهب المشركين للحساب في ذلك اليوم، فهم يلعبون ويستهزؤون بالنبى ﷺ ومما يتلوه وقلوبهم لاهية⁽³⁾. قال الحكيم الترمذي: القلب اللاهي المشغول بزينة الدنيا وزهرتها الغافل عن الآخرة وأهوالها⁽⁴⁾.

خامساً: النسيان.

(1) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. 527/5.

(2) الجرجاني. التعريفات. 135.

(3) انظر: الزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت: 307 هـ) : تهذيب اللغة. تحقيق: محمد عوض مرعب. ط: 1. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 2001م. 34/10.

(4) (الحجر : 72).

(5) انظر: ابن عطية. المحرر الوجيز. 369/3-370.

(6) ابن منظور. لسان العرب. 258-259/15.

(7) الكفوي. الكليات. 799.

(8) (الأنبياء: 3).

(9) الواحدي. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. 710/2.

(3) انظر: النسفي. مدارك التنزيل. 73/3-74.

(4) المرجع السابق. 74/3.

" هو الغفلة على معلوم في غير حالة السِنَّة " ⁽⁵⁾. وذكر ابن الجوزي أن النسيان في القرآن على وجهين ⁽⁶⁾:

أحدهما: الترك مع العمد. ومنه قوله تعالى: ﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ ⁽⁷⁾.

والثاني: خلاف الذكر. ومنه قوله تعالى: ﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ ﴾ ⁽⁸⁾.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ ⁽⁹⁾ أي "ولا تغفلوا، أيها الناس، الأخذ بالفضل بعضكم على بعض فنتركوه" ⁽¹⁰⁾.

وقوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ ⁽¹¹⁾ "النسيان السهو الحادث بعد العلم، والمراد به هنا الترك، لأن أحداً لا ينسى نفسه بل يحرمها ويتركها كما يترك الشيء المنسي مبالغة في عدم المبالاة والغفلة فيما ينبغي أن يفعله" ⁽¹²⁾، بالإضافة إلى أمر آخر وهو أن التغافل عن أعمال البر مع حث الناس عليها مستقبح في العقول ⁽¹³⁾.

(5) الجرجاني. التعريفات. 260.

(6) انظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي محمد (ت: 597 هـ) : نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر. تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي. ط: 1. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1404 هـ - 1984 م. 579/1-580.

(7) (البقرة: 106).

(8) (الكهف: 63).

(9) (البقرة: 237).

(10) الطبري. جامع البيان. 552/2.

(11) (البقرة: 44).

(12) الألوسي. روح المعاني. 248/1.

(13) انظر: الرازي. التفسير الكبير. 43/3.

المبحث الخامس

أنواع الغفلة

بالنظر في الآيات التي تحدثت عن الغفلة، نجد أنها أحياناً تخاطب النبي ﷺ وتصف حاله قبل النبوة والوحي، وتارة تخاطب البشر، وأخرى تخاطب الكافرين، وتارة تخاطب المؤمنين، وأحياناً تنفي هذه الصفة عن الله سبحانه وتعالى.

بالإضافة إلى أن الغفلة في القرآن الكريم جاءت في سياق الذم والنهي عنها بالعموم، ومن المعلوم أن الذم والنهي في القرآن يقتضي التحريم أو الكراهة حسب القرائن الدالة عليه، كما أشار لذلك علماء الأصول⁽¹⁾. فالغفلة يمكن أن تكون محرمة أو مكروهة وفي بعض الأحيان تأتي في سياق المدح. وبالتالي يمكن أن تقسم إلى قسمين:

أولاً : الغفلة المذمومة، وهي الغفلة الواردة في سياق النفي أو ذم المتصف بها. وهي تشمل:

1. غفلة الناس: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾، ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾⁽³⁾، ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽⁴⁾ بقوله بعد ذلك: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا﴾ ليعلّمنا أن لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل، وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا، وأن هذه الدنيا لها ظاهر وباطن. فظاهرها ما يعرفه الجاهل من التمتع بزخرفها، وباطنها وحقيقتها أنها مجاز إلى الآخرة يتزود منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة.⁽³⁾

2. الغفلة المنفية عن الله سبحانه : وهي تتعلق بالآيات التي نفتت الغفلة عن الله سبحانه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾⁽⁴⁾.

فالله "تبارك وتعالى" لو لم ينتقم للمظلوم من الظالم للزم إما أن يكون غافلاً عن ذلك الظالم أو عاجزاً عن الانتقام أو كان راضياً بذلك الظلم ولما كانت الغفلة والعجز والرضا بالظلم محالاً

(1) انظر: زيدان. عبد الكريم. الوجيز في أصول الفقه. ط5. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1417 هـ - 1996 م. 14-45.

(2) (الروم: 6-7).

(3) انظر: الزمخشري. الكشاف. 3/ 473-474.

(4) (إبراهيم: 42).

على الله امتنع أن لا ينتقم من الظالم للمظلوم⁽¹⁾.
ثانياً: **الغفلة المحمودة** ، وهي الغفلة الواردة في سياق مدح المتصف بها. وجاء ذلك في الحديث
عن:

1. غفلة المؤمنين : وهي التي وردت في حق المؤمنات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ
الْعَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾⁽²⁾. "والغافلات عن الفواحش بأن لا يقع في قلوبهن
فعلها"⁽³⁾. "فهو من الغفلة عن الشر"⁽⁴⁾. "كونهن مطبوعات على الخير مخلوقات من عنصر
الطهارة"⁽⁵⁾.

قال الزمخشري : "اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لأنهن لم يجربن الأمور ولم يبرزن الأحوال فلا
يفطنّ لما تقطن له المجربات العرافات"⁽⁶⁾.

وقيل إن عدم وجود المكر والدهاء يكون حسب الغريزة أو لصغر السن.⁽⁷⁾
وقيل "هن اللاتي لا علم لهن بما رمين به وهذا كناية عن عدم وقوعهن فيما رمين به، لأن الذي
يفعل الشيء لا يكون غافلاً عنه"⁽⁸⁾.

(1) ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي (ت: 880 هـ) : اللباب في علوم الكتاب. 20 ج . تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. ط1. بيروت: دار

الكتب العلمية. 1429 هـ - 1998 م . 405/11 .

(2) (النور : 23).

(3) الجالين. تفسير الجالين. 460/1.

(4) الكلبي. التسهيل . 63/3.

(5) الألوسي. روح المعاني. 126/18 .

(6) الزمخشري. الكشف. 227/3 .

(7) انظر: النيسابوري. نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي (ت: 728 هـ) : غرائب القرآن و رغائب الفرقان. 6ج. تحقيق: الشيخ زكريا عميران. ط1. بيروت:

دار الكتب العلمية . 1416 هـ - 1996 م . 173/5 .

(8) ابن عاشور. التحرير والتنوير. 191/18 .

ومن الأدلة التي تؤيد أن صغر السن من أسباب هذه الغفلة المحمودة:

"أن رسول الله ﷺ سأل بريرة خادمة السيدة عائشة ما تقولين في عائشة يا بريرة؟ فقالت: تَعَجُّ العَجِينَ ثُمَّ تَنَامُ بِجَانِبِهِ فَتَأْتِي الدَّوْاجِنُ فَتَأْكُلُهُ وَهِيَ لَا تَدْرِي؟⁽¹⁾ وهذا كناية عن الغفلة لأنها ما زالت صغيرة لم تنتضج نضج المراهقة ومع نضج المراهقة نضج اليقين والإيمان"⁽²⁾.

ومن الأدلة التي تؤيد ما ذهب إليه ابن عاشور في كون الغافلة لا تعلم ما رميت به لأنها لم تفعل الشيء أصلاً لأنها طاهرة عفيفة بغض النظر عن سنّها، الحديث الوارد عن عائشة قالت عائشة: رُمِيتُ بِمَا رُمِيتُ بِهِ وَأَنَا غَافِلَةٌ فَلَبَغَنِي بَعْدَ ذَلِكَ، قَالَتْ: فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدِي جَالِسٌ إِذْ أُوحِيَ إِلَيْهِ وَكَانَ إِذَا أُوحِيَ إِلَيْهِ أَخَذَهُ كَهَيْئَةِ السُّبَّاتِ وَأَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ عِنْدِي ثُمَّ اسْتَوَى جَالِساً يَمْسَحُ عَنْ وَجْهِهِ وَقَالَ: "يَا عَائِشَةُ أَبْشِرِي!"، قَالَتْ: فَقُلْتُ "بِحَمْدِ اللَّهِ لَا بِحَمْدِكَ"، فَقَرَأَ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾⁽³⁾.

2. الغفلة بحق النبي ﷺ :

وذلك في قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ﴾⁽⁴⁾. إن هذه الآية تبين أن النبي ﷺ كان قبل الوحي من الجاهلين عن قصص الأنبياء وأخبار الأمم السابقة ولا يعلم شيئاً منها⁽⁵⁾. فقد كان ﷺ أمياً، وما كان يتلو قبل القرآن من كتاب، وهذا يثبت صدق النبي ﷺ وكونه بشراً يوحى إليه.

(1) الحديث أخرجه البخاري. محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه (ت: 256 هـ) : صحيح البخاري. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. طبعة جديدة. المنصورة:

مكتبة الإيمان. 1423 هـ - 2003 م. كتاب الشهادات. باب تعديل النساء بعضهن بعضاً. حديث الإفك 2661. ص 552. الحديث : "دعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: يا بريرة هل رأيت فيها شيئاً يريبك؟ فقالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق إن رأيت فيها أمراً أغمضه عليها قط أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن العجين فتأتي الدواجن فتأكله".

(2) الشعراوي، محمد متولي (ت: 1418 هـ) : المختصر المختار من تفسير الشعراوي للقرآن الكريم . 20 مج. تحقيق: فريد إبراهيم. ط: 1. دار الروضة. بلا تاريخ. (10236/16).

(3) الحديث أخرجه بنحوه مسلم في التوبة: مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت: 261 هـ) : صحيح مسلم . 4 ج. تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، ط: 1. بيروت : دار إحياء التراث العربي. 1412 هـ - 1991 م. كتاب التوبة. باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف. حديث رقم (2770). 2136/4.

(4) (يوسف : 3).

(5) انظر: الطبري. جامع البيان. 150/12. النسفي. مدارك التنزيل. 178/2.

الفصل الثاني

أسباب الغفلة في القرآن الكريم

المبحث الأول : اتباع الشيطان

المبحث الثاني : الجهل بالغاية من الخلق

المبحث الثالث : الكفر

المبحث الرابع : الظلم

المبحث الخامس : الكبر

المبحث السادس : الصد عن سبيل الله وسلوك سبيل الغي

المبحث السابع : تعطيل الحواس والختم على القلوب

المبحث الثامن : صحبة الأشرار

المبحث التاسع : اتباع الهوى

المبحث العاشر : طول الأمل

تمهيد:

إنَّ موضوع الغفلة من الأمور ال مهمة. لذلك لابد من البحث عن أسبابها والتحذير من عاقبتها وبيان الوعيد الذي نزل بحق أصحابها.

وبالنظر في الآيات التي تحدثت عن أسباب الغفلة ، نجد أنها تحدثت في بداية الموضوع عن الخلق والعهد الذي أخذه الله على بني آدم وهم في عالم الذر. حيث أخذ عليهم الإقرار بربوبيته سبحانه وأقروا على ذلك ، ونصب سبحانه أدلة التوحيد في الوجود كله فما من شيء إلا ويشهد بربوبيته وأنه واحد خالق مالك لهذا الكون.

ويعلم الله سبحانه أخبر أن البشر سيحتجون يوم القيامة على عدم الوفاء بهذا العهد.. وحجج البشر هي:

1. حجة الناس جميعاً (المؤمن والكافر) : ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾⁽¹⁾.

2. حجة الكافر: ﴿أَوْ قُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾⁽²⁾.

فالغفلة والشرك حجتان ذكرهما الله سبحانه عند إقرار الخلق بربوبيته، وقد قدمت الغفلة على الشرك لأن المؤمن والكافر في غفلة. فهي تعني المؤمن حين يقصر في حق العبودية لله سبحانه وتعالى، ويتبع هواه، ويلهيه الأمل والدنيا، ويضيع عمره ووقته.

والكافر يعثره ما سبق بالإضافة إلى التذرع بالجهل والشرك والاستكبار في الأرض والظلم والصد عن سبيل الله واتباع سبيل الغي.

فهذه الأمور هي ما سأتناوله بالبحث في هذا الفصل إن شاء الله.

(1) (الأعراف: 172).

(2) (الأعراف: 173).

المبحث الأول

اتباع الشيطان

الشَّيْطَانُ، مَنْ شَطَنَ وهو البعد. والشَّاطِنُ: البعيد عن الحق، وكل متمرّد من الجن والإنس والدواب شيطان.⁽¹⁾

فالشيطان أصل للضلال والكفر، والبعد عن الحق والصواب، ولقد أقسم الشيطان بإغواء أبناء آدم وإضلالهم وذلك بسبب عداوته لأبيهم آدم عليه السلام.

فالشيطان يسول للإنسان الشر ويزينه له، ويدعو الإنسان إلى الكفر والمعصية، والبعد عن ذكر الله، والغفلة عن عبادته.. وليس له سلطان على الناس إلا أن دعاهم فاستجابوا له، فهو يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق. قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِّ".⁽²⁾ والمؤمن لا يتبع خطوات الشيطان، قال سبحانه: ﴿إِنَّكَ أَلَيْكَ أَتَقَوُّ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾⁽³⁾. فالذين اتصفوا بوقاية أنفسهم عما يضرها إذا مسهم أدنى لمة من

الشيطان ﴿تَذَكَّرُوا﴾ الاستعاذة به سبحانه والتوكل عليه فإذا هم يبصرون مواقع الخطأ.⁽⁴⁾ وتذكروا أيضاً بأن كلّفوا أنفسهم ذكر الله بجميع ما ينفعهم في ذلك إقداماً وإحجاماً، فإذا هم يبصرون بنور ضمائرهم فلا يتابعون الشيطان فإن المتقي من يشتهي فينتهي، ويبصر فيقصر.⁽⁵⁾ فالإنسان الذي خصه الله سبحانه وتعالى بالعقل والإرادة والاختيار حريّ به ألا يتبع خطوات الشيطان، بل يبصر طريقه ولا يغفل عن ذكر الله لحظة، ومن الجدير بالذكر أن قعود الإنسان بلا عمل فيه طاعة للشيطان لأن فيه قعود عن الحق وعن الجد والنشاط ونفع نفسه وغيره. وفيه خسارة للإنسان، والشيطان يدعو حزيه وكل ما أطاعه ليكونوا من أصحاب السعير.

(1) انظر: ابن منظور. لسان العرب. 13/ 238.

(2) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الاعتكاف. باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه. رقم الحديث (1933). 717/2.

(3) (الأعراف: 201).

(4) انظر: أبو السعود. إرشاد العقل السليم. 308/3-309.

(5) انظر: البقاعي. برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر (ت: 885هـ) : نظم الدرر في تناسب الآي والسور. تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي. بلا طبعة. بيروت:

دار الكتب العلمية. 1415هـ - 1995م. 176/3.

المبحث الثاني

الجهل بالغاية من الخلق

خلق الله سبحانه المخلوقات ل غاية عظيمة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾⁽¹⁾. وتتمثل هذه الغاية في وظيفة من قام بها فقد حقق غاية وجوده، ومن قصر فيها فقد باتت حياته فارغة من القصد، وانتهى إلى الضياع. هذه الوظيفة هي العبودية لله، أن يكون هناك عبد يعبد وربَّ يُعبد. ومدلول العبادة أوسع من مجرد إقامة الشعائر، فالجن والإنس لا يقضون حياتهم في إقامة الشعائر، والله يكلفهم ألواناً أخرى من النشاط تستغرق معظم حياتهم، وقد لا نعرف ألوان النشاط التي يكلفها الجن، ولكننا نعرف حدود النشاط المطلوب من الإنسان، إنه عمارة الأرض وتحقيق إرادة الله في استخدامها وتنميتها وترقية الحياة فيها، كما تقتضي الخلافة القيام على شريعة الله في الأرض لتحقيق المنهج الإلهي الذي يتناسق مع الناموس الكوني العام. فلا بد من استقرار معنى العبودية لله وأن ليس وراء ذلك شيء، وأن ليس هناك إلا هذا الوضع، فليس في هذا الوجود إلا عابد ومعبود، إلا رب واحد والكل له عبيد. ولا بد أيضاً من التوجه إلى الله بكل حركة في الضمير والجوارح.⁽²⁾

وقد خلق الله سبحانه هذا الكون متفقاً مع هذه الغاية، فسنن هذا الكون تهدي إلى الصراط المستقيم، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾⁽³⁾.

لقد أخرج الله من بني آدم من أصلابهم ذريتهم وجعلهم يتناسلون و يتوالدون قرناً بعد قرن، وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم؛ أي قررههم بإشبات ربوبيته بما أودعه في فطرهم من الإقرار بأنه ربهم وخالقهم ومليكمهم، وأقروا بذلك. فإن الله سبحانه فطر عباده على الدين الحنيف القيم فكل أحد

(1) (الذاريات: 56).

(2) انظر: قطب، سيد. في ظلال القرآن. 6/ 3387.

(3) (الأعراف: 172-173).

فهو مفطور على ذلك ولكن الفطرة قد تتغير وتتبدل بما يطرأ على العقول من العقائد الفاسدة ⁽¹⁾.
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ يُنَصْرَانِهِ أَوْ يُمَجْسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَيْهَمَةِ تُنْتَجُ الْبَيْهَمَةُ هَل تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ ⁽²⁾" ⁽³⁾. ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه:
﴿فَطَرَتِ اللَّهُ أَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لَهُ لِيَخْلُقَ اللَّهُ ذَلِكَ أَلَيْسَ الْفَقِيمُ﴾ ⁽⁴⁾.

ولما جعل الله أمر الاعتراف بالربوبية عند التكوين ، كانت عقول البشر منساقاة إليه ، فلا يغفل عنه أحد منهم فيعتذر يوم القيامة إذا سئل عن الإشراك بعذر الغفلة ، فهذا إبطال للاعتذار بالغفلة، كذلك بطل الاعتذار بالجهل أيضاً بلأن يقولوا إننا اتبعنا آباءنا وم ا ظننا الإشراك إلا حقاً ، فلها كان في أصل الفطرة العلم بوحداية الله ، بطل الاعتذار بالجهل به ، وكان الإشراك إما عن عمد وإما عن تقصير ، وكلاهما لا ينهض عذراً ⁽⁵⁾. فالله سبحانه وتعالى قد تفضل على بني آدم بأمرين هما أصل السعادة: الفطرة والهداية. ففي كل أحد ما يقتضي معرفته بالحق ومحبه له وقد هداه ربه إلى أنواع من العلم ويمكنه أن يتوصل بها إلى سعادة الأولى والآخرة ⁽⁶⁾ .
ومن هنا نفهم أن الله لم يترك لأحد حجة عليه في الفرار من عبوديته ، والعبودية إنما تكون باتباع وحيه ورسله ⁽⁷⁾.

ومن "رحمة الله بعباده ، قدر ألا يحاسبهم على عهد ال فطرة هذا ، كما أنه لا يحاسبهم على ما أعطاهم من عقل يميزون به ، حتى يرسل إليهم الرسل ، ويفصل لهم الآيات ، لاستنقاذ فطرتهم من الركام والتعطيل والانحراف ، واستنقاذ عقولهم من ضغط الهوى والضعف والشهوات ، ولو كان الله يعلم أن الفطر والعقول تكفي وحدها للهدى دون رسل ولا رسالات، ودون تذكير وتفصيل للآيات،

(1) انظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت: 1376 هـ): تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . تحقيق: ابن عثيمين. بيروت :مؤسسة الرسالة. 1421هـ- 2000م. 308/1.

(2) جدعاء: "يعني أن البهيمة تلد الولد كامل الخلقة فلو ترك كذلك كان بريئاً من العيب لكنهم تصرفوا فيه بقطع أذنه مثلاً فخرج عن الأصل". فتح الباري. 249/3.

(3) أخرجه البخاري. صحيح البخاري. كتاب الجنائز. باب ما قيل في أولاد المشركين. حديث رقم 1293. 456/1.

(4) (الروم: 30).

(5) انظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير. 169/9.

(6) ابن تيمية. أحمد بن عبد الحليم (ت: 728 هـ) : الحسنة والسيئة. تحقيق: محمد جميل غازي. بلا طبعة . القاهرة: مطبعة المدني. بلا تاريخ. 67-65/1.

(7) حوى، سعيد (ت: 1409 هـ): الأساس في التفسير. 11 ج. ط: 1. القاهرة: دار السلام. 1405 هـ - 1985 م. 2061/4.

لأخذ الله عباده بها ، ولكن رحمهم بعلمه فجعل الحجة عليهم هي الرسالة ⁽¹⁾. لذلك أبطل الله سبحانه احتجاج أهل مكة على الرسالة حيث قالوا: قال تعالى: ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفِيلِينَ ﴾ ⁽²⁾، "والمراد إثبات الحجة عليهم بإنزال القرآن على محمد ﷺ كي لا يقولوا يوم القيامة إن التوراة والإنجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا وكنا غافلين عما فيهما" ⁽³⁾. فالحق كما قاله سبحانه: ﴿ لِنُنْذِرَكُمْ وَأُنْذِرَ آبَاءَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴾ ⁽⁴⁾. "لذلك لا سبيل إلى أن يقول أحد إنه غفل عن كتاب الله الهادي إلى التوحيد وعن رسالات الله التي دعت إلى هذا التوحيد" ⁽⁵⁾.

ومن الملاحظ أن جهل الإنسان بالغاية من وجوده - وهي تحقيق العبودية لله والخلافة في الأرض وعمارتها- يجعله يغفل عن نفسه وعن هدفه، فلا بد من الإشارة إلى أن " هذا المخلوق الإنساني هو العجبية الكبرى في هذه الأرض، ولكنه يغفل عن قيمته وعن أسرار الكامنة في كيانه، حين يغفل قلبه عن الإيمان، وحين يُحرم نعمة اليقين" ⁽⁶⁾. فالقلب المؤمن يعرف أن المقصود ليس إهمال الأرض فهو مكلف بالخلافة فيها ، إنما المقصود ألا يعلق نفسه بها، وألا يغفل عن الله في عمارتها ، ليعمل في الأرض وهو يتطلع إلى السماء، فيعيش موصولاً قلبه بالسماء وقدماه ثابتتان على الأرض، فهكذا يريد الله لهذا الإنسان ⁽⁷⁾.

(1) قطب، سيد. الظلال. 1395/3-1396.

(2) (الأنعام: 156).

(3) حوى، سعيد. الأساس في التفسير. 1791/3.

(4) (يس: 6).

(5) قطب، سيد. في ظلال القرآن. 1395/3.

(6) المرجع السابق. 3379/6.

(7) انظر: المرجع السابق. 3381/6.

المبحث الثالث

الكفر

الكفر: "تغطية الشيء"⁽¹⁾. والكفران: "ستر نعمة المنعم بالجحود أو بعمل هو كالجحود في مخالفة المنعم"⁽²⁾. وذكر ابن الجوزي أن الكفر في القرآن على خمسة أوجه: كفر بالتوحيد، وكفران النعمة، والتبري، والجحود، والتغطية⁽³⁾.

لذلك تحدث ابن قيم الجوزية عن الكفر من باب أنه كفر أكبر وكفر جحود. "وأما الكفر الأكبر فخمسة أنواع: كفر تكذيب، وكفر استكبار وإباء مع التصديق، وكفر إعراض، وكفر شك، وكفر نفاق... وكفر الجحود نوعان: كفر مطلق عام، وكفر مقيد خاص. فالمطلق أن يجحد جملة ما أنزله الله وإرساله الرسول، والخاص المقيد أن يجحد فرضاً من فروض الإسلام أو تحريم محرّم من محرماته"⁽⁴⁾.

ومن الجدير بالذكر أن الكفر بالله بأي صورة من صورته من أكبر الكبائر، ويترتب عليه العقاب والنار وإنزال الهلاك بالكافرين. فهذا فرعون وقومه كفروا بالله سبحانه، فقد ادعى فرعون الإلهية.

قال تعالى على لسان فرعون: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾⁽⁵⁾ وقال عنه

﴿فَأَسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾⁽⁶⁾ فكفروا بالله وكذبوا بالآيات والمعجزات التي جاء بها موسى عليه السلام وقد كانت آيات مفصلات بعضها في إثر بعض، ليكون لله الحجة عليهم فأخذهم الله بذنوبهم فأغرقهم في اليم"⁽⁷⁾.

(1) ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت: 606هـ): النهاية في غريب الحديث. 5 ج. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي. بلا طبعة.

بيروت: المكتبة العلمية. 1399هـ-1979م. 4/187.

(2) الجرجاني. التعريفات. 194.

(3) انظر: ابن الجوزي. نزعة الأعين. 516-517.

(4) ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: 751هـ): مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. تحقيق: محمد حامد الفقي. ط: 2. بيروت: دار

الكتاب العربي. 1393هـ - 1973م. 1/337-338.

(5) (القصص: 38).

(6) (الزخرف: 54).

(7) انظر: الطبري. جامع البيان. 40/9.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلَغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾ (١٣٥) فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ (١٣٦) (١).

فكان هذا المصير "بسبب تكذيبهم بالآيات، وعدم مبالاتهم بها وتفكرهم فيها، بحيث صاروا كالغافلين عنها بالكلية، وإلا فالمكذب بأمر لا يكون غافلاً عنه للتلفي بين الأمرين" (٢).

والغفلة عن آيات الله سبحانه. تتضمن:

1. الغفلة عما تتضمنه الآيات من الهدى والنجاة. (٣)
 2. التأكيد على "كون الغفلة عن الحق ودلائله من صفات الكفار". (٤)
 3. زجر السامعين عن تكذيب الآيات الظاهرة على يد رسول الله ﷺ. (٥)
 4. بيان "أن الأحداث لا تجري مصادفة ولا تمضي فلتات عابرة كما يظن الغافلون". (٦)
 5. "أن الواجب في الآيات النظر فيها وتدبرها و التأمل بأسبابها ونتائجها ، ولذلك ذمهم بأن غفلوا عنها وذلك يدل على أن التقليد طريق مذموم". (٧)
- والكفر بالله سبحانه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالشرك ويقود إليه. فإن الله سبحانه يغفر الذنوب إلا الشرك. قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (٨). "والحكمة في عدم مغفرة الشرك أن الدين إنما شرع لتزكية النفوس وتطهير الأرواح وترقية العقول، والشرك ينافي كل

(1) (الأعراف: 135-136).

(2) الألوسي. روح المعاني. 37/9.

(3) انظر: ابن عطية. المحرر الوجيز. 446/2.

(4) رضا، محمد رشيد. تفسير المنار. 12 ج. ط 2. القاهرة: دار المنار. 1366 هـ - 1947 م. 96/9.

(5) انظر: الألوسي. روح المعاني. 37/9.

(6) قطب، سيد. في ظلال القرآن. 1360/3.

(7) الزحيلي، وهبة. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. 30 ج. ط: 10. دمشق: دار الفكر. 1430 هـ - 2009 م. 72/9.

(8) (النساء: 116).

هذا لأنه منتهى ما تهبط إليه العقول ، ومنه تتولد سائر الرذائل التي تفسد الأفراد والجماعات⁽¹⁾. فالشرك من أكبر الكبائر ، وهو نوعان : أن يجعل الله نداً ويعبد غيره من حجر أو ملك أو نجم ، والثاني الرياء بالأعمال⁽²⁾.

"إذا كان القرآن يندد بضلال من يدعون من دون الله آلهة لا يستجيبون لهم إلى يوم القيامة ، وكان هذا يعني المعبودات التاريخية التي عرفت الجماعة البشرية عند نزول هذا القرآن ، فإن النص أوسع مدلولاً وأطول أمداً من ذلك الواقع التاريخي، فمن أضل ممن يدعو من دون الله أحداً في أي زمان وفي أي مكان؟. وكل أحد - كما عايناه من كان - لا يستجيب بشيء لمن يدعو ، ولا يملك أن يستجيب. وليس هناك إلا الله فعال لما يريد .. إن الشرك ليس مقصوراً على صورة الساذجة التي عرفها المشركون القدامى . فكم من مشركين يشركون مع الله ذوي سلطان ، أو ذوي جاه، أو ذوي مال ويرجون فيهم ويتوجهون إليهم بالدعاء. وكلهم أعجز من أن يستجيبوا لدعائهم استجابة حقيقية. وكلهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً، ودعائهم شرك ، والرجاء فيهم شرك ، والخوف منهم شرك ، ولكن شرك خفي يزاوله الكثيرون وهم لا يشعرون".⁽³⁾

لذلك قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ﴾⁽⁴⁾. فيوم القيامة يُجمع الكفار وألّٰهتهم، ويقال لهم: قفوا مكانكم، ويفرق بينهم وينقطع التواصل الذي كان بينهم في الدنيا ، وتكثر الأوثان عبادة المشركين لها وينطقها الله، وتقول: ما كنا نشعر بأنكم إيانا تعبدون لأننا كنا جماداً لم يكن فينا روح.⁽⁵⁾

فإن قيل: إن الشركاء قالوا: "ما كنتم إيانا تعبدون" وهم قد عبدوهم فكان هذا كذباً ، وقد اختلف في أهل القيامة هل يكذبون أم لا؟ فقل إننا لمراد من قولهم "ما كنتم إيانا تعبدون" هو أنكم ما عبدتمونا بلمرنا وإرادتنا. والدليل على ذلك أنهم استشهدوا بالله في ذلك حيث قالوا: " فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا يَبْنِنَا

(1) المراغي، محمد مصطفى (ت: 1364هـ) : تفسير المراغي. ج. 30. ط: 1. مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده . 1365 هـ - 1946 م. 58/5.

(2) انظر: الذهبي، شمس الدين (ت: 748هـ) : الكبائر. تحقيق: سعد يوسف أبو عزيز. ط: 2. القاهرة: دار الفجر للتراث. 1425 هـ - 2004 م. ص 9.

(3) قطب، سيد . في ظلال القرآن. 3256/6.

(4) (الأحقاف : 5).

(5) انظر: الواحدي. الوجيز. 496/1.

وَيَبِّغُكُمْ " وقالوا: " إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ". فأثبتوا لهم عبادة. إلا أنهم كانوا غافلين عن تلك

العبادة فقد صدقوا فإن أعظم أسباب الغفلة كونها جمادات لا حس لها بشيء.⁽¹⁾

فالغفلة عند هؤلاء المشركين تكمن في بطلان العبادة لهذه الأصنام، ولكل ما عبد من دون الله، فهي عديمة القدرة على خلق الأشياء ، وغير عالمة أصلاً بعبادة الوثنيين لها ، فيرقي لذلك صلاحيتها للعبادة، لأنه إذا انتفى العلم والقدرة لم يبق مسوغ للعبادة ببديهة العقل ، فهي لا تضر ولا تنفع، ولا يتصور منها الإجابة، لا في الحال ولا بعد ذلك إلى يوم القيامة.⁽²⁾

(1) انظر: الرازي. التفسير الكبير. 68/17.

(2) انظر: الزحيلي. التفسير المنير. 326/26.

المبحث الرابع

الظلم

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَفُلُونَ﴾⁽¹⁾. "والظلم وضع الشيء في غير موضعه، وفي الشريعة: عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل وهو الجور"⁽²⁾. والظلم ظلمات وهو من اللبائر، وهو أنواع منها: ظلم النفس، وظلم الآخرين، وغيرها. إلا أن أعظم أنواع الظلم الشرك بالله، وهو المقصود في الحديث "لما نزلت ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قلنا يا رسول الله: أين لا يظلم نفسه؟ قال: ليس كما تقولون (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) بشرك، أو لم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه ﴿يَبْنِىْ لَا تُشْرِكْ بِاللّٰهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيْمٌ﴾"⁽³⁾. فالصحابة فهموا الظلم على الإطلاق فبين سبحانه أنه الظلم الذي لا ظلم بعده، فمن جعل العبادة وأثبت الربوبية لغير الله فهو ظالم بل أظلم الظالمين.⁽⁴⁾

لذلك أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل ليبلغوا دين الله وينذروا البشر، ولم يكن سبحانه بالذي يهلك القرى بظلم وأهلها غافلون. عيى الطبري أن في تأويل هذه الآية وجهين:⁽⁵⁾

الأول: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾ أي بشرك من أشرك وكفر من كفر ﴿وَأَهْلُهَا غَفُلُونَ﴾، فلم يكن بالذي يعاجلهم بالعقوبة حتى يبعث إليهم الرسل، فلم ولم يكن سبحانه بالذي يأخذهم غفلة فيقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير.

(1) (الأنعام: 131).

(2) الجرجاني. التعريفات. 148.

(3) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الأنبياء. باب قول الله تعالى ﴿وَأَتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ

(4) انظر: العيني، بدر الدين محمود بن أحمد (ت: 855هـ) : عمدة القاري شرح صحيح البخاري. بلا طبع. بيروت: دار إحياء التراث العربي. بلا تاريخ. 215/1.

(5) انظر: الطبري. جامع البيان. 37/8.

الثاني: لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير فيظلمهم والله غير ظلام للعبيد.

ويرجح الطبري القول الأول لأن الآية جاءت عقيب قوله ﴿الَّذِينَ يَأْتِيَكُمُ الرُّسُلُ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ مَا يَأْتِيَهُمْ﴾ وإنما فعلنا ذلك من أجل أنا لا نهلك القرى بغير تذكير وتنبيه. ويؤكد رأي الطبري قول ابن عباس "بظلم أي بشرك"⁽¹⁾.

لكن الرازي في تفسيره لهذه الآية يرجح القول الثاني من أقوال الطبري ويبين أن المراد من الغفلة هنا ليس "أن يتغافل المرء عما يوعظ به بل معناه أن لا يبين الله لهم كيفة الحال ولا أن يزيل عذرهم وعلتهم"⁽²⁾.

والخلاصة أن الله سبحانه "لو أهلكهم قبل بعث الرسل ، فله أن يفعل ما يريد ، وقد قال عيسى: إن تعذبهم فإنهم عبادك"⁽³⁾. فهو ليس بظالم وإنما استحقوا الهلاك بكفرهم وظلمهم ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾⁽⁴⁾.

وربطت الآيات بين إهلاك القرى وبين الظلم والغفلة، وهلاك الأمم يكون بما يغلب عليها من الظلم والفجور الذي يفسد الأخلاق ويقطع روابط المجتمع، وهذه الآية من قواعد الاجتماع التي شرح قواعدها ابن خلدون⁽⁵⁾ ولكن لم يستفد منها المسلمون كما استفاد غيرهم ، كما لم يستفيدوا من هدي القرآن ومثله العليا، وإنهم لا يزالون غافلين عن هذا الرشاد مع حاجة العصر إلى بذل أقصى الجهد ، لأن الأمم قد افتتنت في الوصول إلى أغراضها كما هي سنة تنازع البقاء، ولا نرى من المسلمين إلا معاذير لو تركوها لكان خيراً لهم، بل لقد بلغ الأمر بهم أن وسوس لهم الشيطان وهم ينجون أنفسهم أن قالوا: إن تعاليم الإسلام أضعفتهم وأضاعت عليهم ملكهم ﴿كَثُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾⁽⁶⁾.⁽⁷⁾

(1) ابن الجوزي. زاد المسير. 126/3.

(2) الرازي. التفسير الكبير. 162/13.

(3) القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. 87/7.

(4) (القصص: 59).

(5) انظر: ابن خلدون. عبد الرحمن محمد (ت: 1404هـ): مقدمة ابن خلدون. بلا طبعة. بلا مكان نشر. بلا تاريخ نشر. ص(86 ، 122).

(6) (الكهف : 5).

(7) انظر: المراغي، تفسير المراغي. 36-35/8.

المبحث الخامس

الكبر

من أسباب الغفلة الكبر، وهو كبيرة من الكبائر، قال عنه الذهبي: هو الفخر والخيلاء والعجب والنتية ⁽¹⁾. قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ ⁽²⁾. وأول ذنب عُصي الله سبحانه به الكبر، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ⁽³⁾. قال عليه السلام: " الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ " ⁽⁴⁾. فللكبر لا يليق إلا بالله وحده ومن تكبر صار عند الله ممقوتاً بغيضاً ⁽⁵⁾. وذلك لأن التكبر: "هو طلب الفضل من غير استحقاق" ⁽⁶⁾. فعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالا: قال ﷺ: "الْعِزُّ إِزَارُهُ وَالْكَبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ فَمَنْ يَنَازِعَنِي عَذَّبْنَاهُ" ⁽⁷⁾.

ولكون الكبر من الكبائر كان الوعيد شديد أ لمن اتصف به ، حيث نود الله سبحانه بقوله: ﴿سَاصِرُفٌ عَنْ ءَايَتِي الَّذِينَ يَكْتُمُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ ⁽⁸⁾ " أي سأمعن فهم الحجج والأدلة الدالة على عظمتي وشريعتي وأحكامي قلوب المتكبرين على الناس بغير حق، كما استكبروا بغير حق أدلهم الله بالجهل كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ⁽⁹⁾ وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَفْقَهُمْ لِمَ

(1) انظر: الذهبي. الكبائر. 78.

(2) (غافر : 27).

(3) (البقرة : 34).

(4) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب تحريم الكبر وبيانها. حديث رقم (147). 93 / 1.

(5) انظر: فريد. أحمد. البحر الرائق في الزهد والرقائق. ط:3. المكتبة التوفيقية. بلا تاريخ. 153.

(6) (السماعي، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار (ت:489هـ): تفسير السمعي. ج 6 تحقيق : ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. ط :1. الرياض

دار الوطن. 1418هـ- 1997م. 215/2.

(7) مسلم. صحيح مسلم . كتاب البر والصلة والآداب. باب تحريم الكبر. حديث رقم (2620). 2023/4.

(8) (الأعراف: 146).

(9) (الأنعام : 110).

تُؤْذُنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١﴾

وقال بعض السلف: لا ينال العلم حيي ولا مستكبر⁽²⁾.

قال البقاعي: "هذه الآيات أعظم زاجر عن التكبر ، فإنها بينت أنه يوجب الكفر والإصرار عليه ، والوهن في جميع الأمور"⁽³⁾. "واعلم أنه تعالى ذكر في هذه الآية قوله : (بَغْيِ الْحَقِّ) لأن إظهار الكبر على الغير قد يكون بالحق فإن للمحق أن يتكبر على المبطل"⁽⁴⁾.

أما عن علاقة الكبر بالغفلة. فقد كان هؤلاء المتكبرين في تركهم تدبر الحق كالغافلين ، ويحتمل أن يكونوا غافلين عن الجزاء⁽⁵⁾.

(1) (الصف: 5).

(2) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. 248/2.

(3) البقاعي. نظم الدرر. 112/3.

(4) الرازي. التفسير الكبير. 4/15.

(5) انظر: القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. 283/7.

المبحث السادس

الصد عن سبيل الله وسلوك سبيل الغي

إن الكفر بالله سبحانه يقود إلى كل شر ، فهؤلاء الكفار والم تكبرون في الأرض إن يروا سبيل الرشدا لا يسلكوه، بل يسلكوا طريق الضلال، قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلاًّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ۝﴾⁽¹⁾ وإن يرى هؤلاء المتكبرون كل آية وحجة له على وحدانيته وربوبيته لا يؤمنوا بها، ويقولوا هي سحر وكذب،⁽²⁾ وإن يروا سبيل الصلاح والاستقامة في الدين لا يسلكوه،⁽³⁾ وذلك "لاستيلاء الشيطنة عليهم"⁽⁴⁾، وإن يروا سبيل الغي "يختارونه لأنفسهم مسلماً مستمراً لا يكادون يعدلون عنه لموافقته لأهوائهم وإفضائه بهم إلى شهواتهم"⁽⁵⁾. فعوقبوا بالصرف عن آيات الله وذلك "بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم ، فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها، غفلة وانهماكاً فيما يشغلهم عنها من شهواتهم"⁽⁶⁾. وبين سبحانه أن صرفهم عن الآيات والانتفاع بها كان بسبب تكذيبهم بالآيات، حيث ابتدأوا بالتكذيب ولم يهتموا بالتأمل في الآيات، وأيضاً بسبب غفلتهم، وقد كانت غفلتهم عن قصد واستمرار، وكونها دأباً لهم لذلك عبر عنها بصيغة الإخبار، حيث قال سبحانه: ﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ۝﴾⁽⁷⁾.

(1) (الأعراف: 146).

(2) انظر: الطبري. جامع البيان. 60/9.

(3) انظر: الرازي. التفسير الكبير. 4/15.

(4) الألويسي. روح المعاني. 61/9.

(5) المرجع السابق. 62/9.

(6) الزمخشري. الكشاف. 150/2.

(7) انظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير. 107/9.

ولقد اتخذ الصد عن سبيل الله صوراً مختلفة عند الكفار فمنها:

1. تكذيب أهل الكتاب بالنبي ﷺ وأن صفته ليست في كتابهم.⁽¹⁾
2. إلقاء الشبهات في دين الله وهم شهداء بما في التوراة أن دين الله الإسلام.⁽²⁾
3. عداوة الكفار وأهل الكتاب للرسول حيث قتلوا خلقاً من الأنبياء.⁽³⁾
4. تخويف الناس وتوعدهم بالقتل.⁽⁴⁾

وتحذر الآيات المؤمنين من اتباع أهل الكتاب الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً. ولا شك أن طاعتهم تقودنا إلى الكفر والضلال، ولئن أطعناهم إننا لكافرون غافلون، لأن أهل الكتاب خاصة والكفار عامة يعرفون أن الإيمان بالله والسير على سبيله وصراطه المستقيم هو خط الدفاع الأول والأخير عن كيان الأمة ووجودها، لذلك نجدهم "يبدلون في سبيل تحويل هذه الأمة عن عقيدتها كل ما في وسعهم من مكر وحيلة ومن قوة كذلك وعدة. وحين يعجزهم أن يحاربوا هذه العقيدة ظاهرين يدسون لها ماكرين، وحين يعييبهم أن يحاربوها بأنفسهم وحدهم يجندون من المنافقين المتظاهرين بالإسلام أو ممن ينتسبون - زوراً - للإسلام جنوداً مجنّدة لتتخر لهم في جسم هذه العقيدة من داخل الدار، ولتصد الناس عنها ولتزين لهم مناهج غير منهجها، وأوضاعاً غير أوضاعها. وقيادة غير قيادتها".⁽⁵⁾ فيتم لهم الحصول على ما يريدونه من استغلال خيرات البلاد، والظلم والكبرياء، وتذليل الشعوب بلا مقاومة ولا حتى استنكار.

(1) انظر: الواحدي. الوجيز. 224/1.

(2) انظر: المرجع السابق.

(3) انظر: ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. 585/1.

(4) الجلالين. تفسير الجلالين. 205/1.

(5) قطب، سيد. في ظلال القرآن. 438\1.

المبحث السابع

تعطيل الحواس والختم على القلوب

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١﴾﴾. "هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله أنه لا لطف لهم وجعلهم في أنهم لا يلقون أذهانهم إلى معرفة الحق ، ولا ينظرون بأعينهم إلى ما خلق الله نظر اعتبار ، ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر ، كأنهم عدموا فهم القلوب وإبصار العيون واستماع الآذان وجعلهم لإغراقهم في الكفر وشدة شكائهم فيه وأنه لا يأتي منهم إلا أفعال أهل النار ... والمراد وصف حال اليهود في عظم ما أقدموا عليه من تكذيب النبي ﷺ مع علمهم أنه النبي الموعود وأنهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الإيمان يتأتى منهم" (2). "ثم وصفهم الله سبحانه بالأنعام بل هم أضل من الأنعام لأنهم كابروا العقول وعاندوا الرسول وارتكبوا الفضول فالأنعام تطلب منافعها وتهرب من مضارها وهم لا يعلمون مضارهم" (3).

ثم سبحانه يصفهم بأنهم الغافلون بل والكاملون في الغفلة حيث "يصرفهم الله تعالى عن التفكير في آيات الله الدالة على عظمته وشريعته وأحكامه بالطبع على قلوبهم وإلقاء الغفلة في نفوسهم وشغلهم بأهوائهم وشهواتهم وهم في تركهم تدبر الحق كالغافلين عنه" (4).

الحواس والقلب وحقيقة الطبع عليه:

القلب هو لطيفة روحانية ، وهو المدرك العالم العارف من الإنسان ، وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب (5). فشرف الإنسان وفضيلته التي فاق بها جملة من أصناف الخلق

(1) (الأعراف : 179).

(2) الزمخشري. الكشاف. 169/2.

(3) النسفي. مدارك التنزيل. 47/2.

(4) الزحيلي. التفسير المنير. 98/9.

(5) انظر: الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت: 505هـ) : إحياء علوم الدين. ط: 4. بيروت: دار الكتب العلمية. 1426هـ - 2005م. 4/3.

باستعداده لمعرفة الله سبحانه ، وإنما استعداداه لهذه المعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه، وإنما الجوارح أتباع وخدم يستخدمها القلب ويستعملها استعمال الملك للعبد⁽¹⁾.

والقلوب كما ذكر ابن القيم رحمه الله ثلاثة أنواع "القلب السليم: وهو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما بل قد خلصت عبوديته لله تعالى ... القلب الميت: وهو الذي لا حياة به فهو لا يعرف ربه ولا يعبد بأمره ... القلب المريض: قلب له حياة وبه علة فله مادتان تمده هذه مرة وهذه أخرى".⁽²⁾

" ومرض القلب هو نوع فساد يحصل له يفسد به تصويره وإرادته، فتصوره بالشبهات التي تعرض له حتى يرى الحق أو يراه على خلاف ما هو عليه، وإرادته بحيث يبغيض الحق النافع ويحب الباطل الضار"⁽³⁾.

ونظراً لأهمية القلب وكونه محل العلوم كلها لقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾⁽⁴⁾. فقد أسند إليه صلاح الجسد كله إذا صلح وفساده إذا فسد ، لقوله ﷺ: "الْحَالِلُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الْمُشْتَبِهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَّاعٍ يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضَغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ"⁽⁵⁾.

لذلك وجب على المسلم أن يهتم بقلبه فكان "علي بن أبي طالب يقول: إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة"⁽⁶⁾ وقد يصيبها الصدأ لقوله ﷺ: "إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبُ تَصْدَأُ لَحْمًا

(1) انظر: الغزالي. إحياء علوم الدين. 3/3.

(2) ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: 751 هـ): إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان. 2 ج. تحقيق محمد حامد الفقي. ط: 2. بيروت: دار المعرفة.

1395 هـ - 1975 م. 9-7/1.

(3) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس (ت: 728 هـ): أمراض القلوب وشفاؤها. ط: 2. القاهرة: المطبعة السلفية. 1399 هـ. ص (4).

(4) انظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت: 450 هـ): أدب الدنيا والدين. 6/1. والآية: (الحج: 46).

(5) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الإيمان. باب فضل من استبرأ لدينه. حديث رقم (52). 28/1.

(6) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله النمري (ت: 463 هـ): أدب المجالسة وحمد اللسان وفضل البيان وذم العي وتعليم الأعراب. تحقيق: سمير حليبي. ط: 1. طنطا: دار

الصحابة للتراث. 1409 هـ - 1989 م. 107/1.

يَصْدَأُ الْحَدِيدَ. قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : فَمَا جَلَاؤُهَا؟ قَالَ: ذِكْرُ الْمَوْتِ وَ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ" (1) "قال بعض الحكماء : كما أن الحديد إذا لم يستعمل غشيه الصدأ حتى يهلكه كذلك القلب إذا عطل عن الحكمة غلب عليه الجهل حتى يميته"(2).

وصدأ القلب بأمرين: الغفلة والذنوب. فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكباً على قلبه فلا تتطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه، فيرى الباطل في صورة الحق لأنه إذا تراكم عليه الصدأ أظلم وركبه (الران) فأفسد تصويره وإدراكه فلا يقبل حقاً ولا ينكر باطلاً (3). قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (4). والران كما قال الطبري: هو الذنوب بعد الذنوب. ثم يغلب عليه الران حتى يصير طبعاً وقفلاً وختماً (5). قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ (6). فيصير في غشاوة وغلاف. قال تعالى: ﴿قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ﴾ (7) وقال سبحانه: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ (8).

(1) ابن الشهاب، محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي (ت: 454هـ): مسند الشهاب، 2 ج. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. ط: 2. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1407

هـ - 1986م. رقم الحديث (1179). 199/2. قال العراقي: "أخرجه البيهقي في الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف". العراقي. المعني عن حمل الأسفار. 222/1.

(2) الخرائطي، أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاذان (ت: 327هـ): اعتلال القلوب، 2 ج. بلا طبعة. بلا تاريخ. 55/1.

(3) انظر: ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: 751 هـ): الوابل الصيب من الكلم الطيب. تحقيق: مصطفى بن العدوي. ط: 1. المنصورة: دار ابن

رجب. 1423هـ - 2003م. 55.

(4) (المطففين: 14).

(5) انظر: ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: 751 هـ): الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء). بلا طبعة. بيروت: دار الكتب

العلمية. بلا تاريخ. 39/1.

(6) (النحل: 108).

(7) (فصلت: 5).

(8) (البقرة: 88).

المبحث الثامن

صحبة الأشرار

قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾⁽¹⁾

"نزلت في أشراف قريش حين طلبوا من النبي ﷺ أن يجلس معهم وحده من غير وجود أصحابه الفقراء أو الضعفاء كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود. وليفرد هم في مجلس على حدة، فنهاه الله عن ذلك، وأمره أن يصبر ويثبت نفسه في الجلوس مع هؤلاء، ونظير الآية قوله ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾"⁽²⁾ وهذا شبيهه بقول قوم نوح ﷺ: ﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾"⁽³⁾.⁽⁴⁾

"أغفلنا قلبه حين اتجه إلى ذاته وإلى ماله وإلى أبنائه وإلى متاعه ولذائذه وشهواته، فلم يعد في قلبه متسع لله، والقلب الذي يشتغل بهذه الشواغل ويجع لها غاية حياته لا جرم يغفل عن ذكر الله، فيزيده الله غفلة، ويملي له فيما هو فيه، حتى تفلت الأيام من بين يديه، ويلقى ما أعده الله لأمثاله الذين يظلمون أنفسهم ويظلمون غيرهم"⁽⁵⁾.

وفي حث النبي على عدم طاعة أشراف قريش إلى ما طلبوه، تنبيه على أن الداعي لهم إلى هذا الاستدعاء، غفلة قلوبهم عن المعقولات، وانهماكهم في المحسوسات، حتى خفي عليهم أن الشرف بحلية النفس لا بزيينة الجسد، وأن إطاعة مثل هؤلاء مدعاة لمساواتهم في الجهل والغباوة.⁽⁶⁾ "إن مخالطة الأندال والسفلة، تحط الهيبة، وتضع المنزلة، وتكل اللسان، وتزري الإنسان"⁽⁷⁾. لذلك حث النبي ﷺ على صحبة الأبرار وتجنب مصاحبة الأشرار، لأن أخلاق

(1) (الكهف : 28).

(2) (الأنعام : 52).

(3) (الشعراء : 111).

(4) الزحيلي. التفسير المنير. 263/15.

(5) قطب، سيد. في ظلال القرآن. 2269/4.

(6) انظر: البيضاوي. أنوار التنزيل. 493/3.

(7) البستاني، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (ت: 388هـ) : العزلة. ط: 2. القاهرة: المطبعة السلفية. 1399هـ. 50/1.

الأصدقاء تؤثر فيمن حولهم، قال ﷺ: "الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدَكُمْ مِنْ يُخَالِلُ"⁽¹⁾. "فلا تخالل إلا من رضيت دينه وأمانته فإنك إذا خاللته قادتك إلى دينه ومذهبه، ولا تغترّ بدينك ولا تخاطر بنفسك فتخالل من ليس مرضياً في دينه"⁽²⁾.

" قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقد ذكر صحبة رجل فقال:

لا تصحب أخا الجهل	وإياك وإياه
فكم من جاهل أرى	حليماً حين آخاه
يقاس المرء بالمرء	إذا ما المرء ماشاه
وللشيء من الشيء	مقاييس وأشباه
وللقلب من القلب	دليل حين يلقاه ⁽³⁾

فائدة:

"قوله تعالى: "مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ" يدل على أن ما يعرض للعبد من غفلة ومعصية إنما هو بمشيئة الله تعالى. إذ لا يقع شيء البتة كائناً ما كان إلا بمشيئته الكونية القدرية، قال جل وعلا ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى أَهْدًى﴾.. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن كل شيء من خير أو شر، لا يقع إلا بمشيئة خالق السماوات والأرض، فما يزعمه المعتزلة ويحاول الزمخشري في تفسيره دائماً تأويل آيات القرآن على ما يطابقه من استقلال قدرة العبد وإرادته فأفعاله دون مشيئة الله، لا يخفى بطلانه كما تدل عليه الآيات المذكورة آنفاً، وأمثالها في القرآن كثيرة"⁽⁴⁾.

(1) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي (ت: 892هـ) : الجامع الصحيح سنن الترمذي. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون. بلا طبعة. بيروت: دار إحياء التراث العربي.. كتاب الزهد. حديث رقم (2378). 589/4. وقال عنه: حسن غريب.

(2) البستي. العزلة. 47/1.

(3) السلمي. أبو عبد الرحمن (ت: 412هـ) : آداب الصحبة. تحقيق: مجدي فتحي السيد. ط:1. مصر : دار الصحابة للتراث. 1410 هـ - 1990. ص (43).

(4) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني (ت: 1393هـ) : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. تحقيق : مكتب البحوث والدراسات. بيروت: دار الفكر. 1415هـ-1995م. 265/3.

المبحث التاسع

اتباع الهوى

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾⁽¹⁾ حذرت الآية الكريمة المسلم من إتباع الهوى، وذلك عندما يؤثر الإنسان الهوى على الحق، ويختار الشرك على التوحيد⁽²⁾. واتباع الهوى من عيوب النفس ، ويعني موافقة رضاها ، ومداواتها ما أمر الله به. فقد قال تعالى: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾⁽³⁾.⁽⁴⁾ وعن عمر قال: إن أخوف ما أتخوف عليكم أن تهلكوا فيه ، ثلاث خلال: شح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه، وهوى متبع⁽⁵⁾.

"والهوى ميل الطبع إلى ما يلائمه ، وهذا الميل خلق في الإنسان لضرورة بقائه ، فإنه لولا ميله إلى المطعم والشرب والمنكح ما أكل ولا شرب ولا نكح ، فالهوى مستحث لها لما يريده كما أن الغضب لا ينجم مطلقاً ولا يحمد مطلقاً وإنما يذم المفرط من النوعين، وهو ما زاد على جلب المنافع ودفع المضار، ولما كان الغالب من مطيع هواه وشهوته وغضبه وأنه لا يقف فيه على حد المنتفع به أطلق ذم الهوى والشهوة والغضب لعموم غلبة الضرر لأنه يندر من يقصد العدل في ذلك ويقف عنده كما أنه يندر في الأمزجة المزاج المعتدل من كل وجه بل لابد من غلبة أحد الأخلاط والكيفيات عليه فحرص الناصح على تعديل قوى الشهوة والغضب من كل وجه وهذا أمر يتعذر وجوده إلا في حق أفراد من العالم. فلذلك لم يذكر الله تعالى الهوى في كتابه إلا ذمه. وكذلك في السنة لم يجيء إلا مذموماً إلا ما جاء منه مقيداً (كقوله ﷺ: لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به)⁽⁶⁾. وقد قيل: الهوى كمين لا يؤمن ، قال الشعبي: وسمي هوى لأنه يهوي بصاحبه ،

(1) (الكهف: 28).

(2) انظر: الشوكاني. فتح القدير. 282/3. القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. 392/10 .

(3) (النازعات: 40).

(4) انظر: السلمي، أبو عبد الرحمن (ت: 412هـ): عيوب النفس . تحقيق: مجدي فتحي. بلا طبعة. طنطا: مكتبة الصحابة. ص (24). رقم الحديث (1408).

(5) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: 175 هـ): الزهد. 2 ج. بلا طبعة. دار النشر. بلا تاريخ. 90/1 .

(6) الحديث: "قال التبريزي: وقال النووي في أربعينه هذا حديث صحيح روينا في كتاب الحجة بإسناد صحيح" قلت: هذا وهم فالسند ضعيف فيه نعيم به حماد وهو

ضعيف. وأعله الحافظ ابن رجب بغير هذه العلة متعباً على النووي تصحيحه إياه. ابن حجر العسقلاني. أحمد بن علي (ت: 852): هداية الرواة إلى تخریج أحاديث المصابيح والمشكاة وبخاشيته النقد الصريح لما انتقد من أحاديث المصابيح للإمام العلائي والأجوبة على أحاديث المصابيح للحافظ ابن حجر تخریج العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني. ط: 1. الدمام : دار ابن القيم. 1422هـ - 2001م. 131/1.

ومطلقه يدعو إلى اللذة الحاضرة من غير فكر في العاقبة ويحث على نيل الشهوات عاجلاً وإن كانت سبباً لأعظم الآلام عاجلاً وأجلاً ، فللدنيا عاقبة قبل الآخرة والهوى يعمي صاحبه من ملاحظتها ، والمروءة والدين والعقل ينهي عن لذة تعقب ألماً وشهوة وتورث ندماً ، فكل منها يقول للنفس إذا أرادت ذلك لا تفعلي ، والطاعة لمن غلب ألا ترى أن الطفل يؤثر ما يهوى وإن أداه إلى التلف لضعف ناهي العقل عنده ، ومن لا دين له يؤثر ما يهواه وإن أداه إلى هلاكه في الآخرة لضعف ناهي الدين ، ومن لا مروءة له يؤثر ما يهواه وإن تلم مروءته أو عدمها لضعف ناهي المروءة، فأين هذا من قول الشافعي رحمه الله تعالى: لو علمت أن الماء البارد يثلم مروءتي لما شربته".⁽¹⁾

وقد يغفل الإنسان عن نفسه و يتبع هواه ، وذلك له مخاطرة على القلب والبدن. يقول ابن القيم رحمه الله: "إن مخالفة الهوى مطردة للداء عن القلب والبدن ، ومتابعته مجلبة لداء القلب والبدن، فأمرض القلب كلها من متابعة الهوى، ولو فتشت عن أمراض البدن لرأيت غالبها من إيثار الهوى على ما ينبغي تركه"⁽²⁾.

والسبب الذي يجعل الإنسان يتبع هواه "أن النفس تكره خلاف الهوى، والهوى هو ضد الحق والله تعالى يحب الحق فصار جبار النفس على خلاف الهوى وعلى وفاق الحق لأن الحق من أفضل الأعمال كما قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾"⁽³⁾.⁽⁴⁾

(1) ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: 751 هـ) : روضة المحبين ونزهة المشتاقين. بلا طبعة. بيروت: دار الكتب العلمية. 1412هـ - 1992م.

ص (469-470).

(2) المرجع السابق. 482/1.

(3) (الأعراف : 8).

(4) أبو طالب المكي، محمد بن علي بن عطية الحارثي (ت: 386 هـ): قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد. تحقيق: عاصم إبراهيم

الكيالي. ط:2. بيروت: دار الكتب العلمية. 316/1.

المبحث العاشر

طول الأمل

إن الله تعالى خلق الدنيا والآخرة ، فجعل الأولى دار ممر والثانية دار مقر ، الأولى دار عمل والآخرة دار جزاء. وإن أكثر الخلق جهلاً من أثر الأولى على الآخرة، لأن الدنيا واقع ملموس تطمئن إليه النفس، والآخرة غيب.

يقول الإمام ابن القيم: "وأعظم الخلق غروراً من اغتر بالدنيا وعاجلها فأثرها على الآخرة ورضي بها من الآخرة، حتى يقول بعض هؤلاء ... إن لذات الدنيا متيقنة ولذات الآخرة مشكوك فيها، فلا أدع اليقين للشك".⁽¹⁾ فيرد ابن القيم عليهم بقوله: "إن كنت على يقين فما تركت إلا ذرة عاجلة منقطعة فلتية عن قرب، لأمر متيقن لا شك فيه ولا انقطاع له. وإن كنت على شك فتأمل آيات الرب تعالى الدالة على وجوده وقدرته ومشيتته ووحدانيتها وصدق رسله فيما أخبروا به عنه وتجرد وقم لله ناظراً أو مناظراً حتى يتبين لك أن ما جاءت به الرسل عن الله فهو الحق الذي لا شك فيه، وأن خالق هذا العالم هو رب السماوات والأرض".⁽²⁾

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ﴾⁽³⁾. إن الذين لا يطمعون بلقاء الله الذي هو أكبر ما طمع فيه الطامعون ، بل أعرضوا وربما كذبوا به ورضوا بالدنيا بدلاً عن الآخرة ، وركنوا إليها وجعلوها غاية أمرهم ونهاية قصدهم، فسعوا لها وأكبوا على لذاتها وشهواتها، بأي طريق حصلت حصلوها، ومن أي وجه لاحت ابتدروها، صرفوا نياتهم وأفكارهم وأعمالهم إليها، فكأنهم خلقوا للبقاء فيها وكأنها ليست بدار ممر.⁽⁴⁾ خلق الله سبحانه الدنيا جميلة محبة للنفس بما فيها من الشهوات والملذات، لذلك عندما

أشار القرآن الكريم إلى لذائذ الدنيا المحببة من النساء والبنين والأموال عبر عنها ﴿زِينَةَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْمَنْطَرِ الْمُنْقَطِرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ

(1) ابن القيم. الجواب الكافي. 22/1.

(2) المرجع السابق. 22/1 - 23.

(3) (يونس: 7).

(4) انظر: السعدي. تيسير الكريم الرحمن. 358/1 .

الْمُسَوِّمَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَاقِ ﴿١٤﴾ (1)

فقد كان من صياغة الفعل (زَيَّنَ) وبناءه للمجهول دلالة على أن تغلغل الشهوة في النفوس وتمكنها من القلوب حقيقة واقعة. (2)

لكن ليس مطلوباً من الإنسان إهمال الدنيا، بل يجب الاهتمام بالدنيا لتكون ممره إلى الآخرة، لكن أن يحرص عليها وينسى الآخرة فهذا هو المذموم. فالدنيا لا تساوي شيئاً بالقياس مع الآخرة. "فَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ" (3). وقال ﷺ : "يَهْرُمُ ابْنُ آدَمَ وَتَشِبُّ مِنْهُ اثْنَتَانِ : الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ" (4).

إن حب الدنيا يورث في النفس طول الأمل ، فيعتقد الإنسان أنه باق في هذه الدنيا وليس براحل عنها، لذلك قيل: "إن سبب طول الأمل حب الدنيا، والأنس بها، والجهل باستبعاد الموت" (5). لذلك دُم طول الأمل وحب الدنيا لأن " حب الدنيا رأس كل بلاء" (6).

زيادة المرء في دنياه نقصان وربه غير محض الخير خسران
يا عامراً لخراب الدار مجتهداً بالله هل لخراب العمر عمران (7).

"وأَنْفَعُ مَا عَالَجَ بِهِ الْمُؤْمِنُ أَمْرَ دِينِهِ قَطَعَ حُبَّ الدُّنْيَا مِنْ قَلْبِهِ ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ هَانَ عَلَيْهِ تَرْكُ الدُّنْيَا وَسَهْلٌ عَلَيْهِ طَلَبُ الْآخِرَةِ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى قَطْعِهِ إِلَّا بِأَدَاتِهِ ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ أَدَاتِهِ الْفَقْرُ وَقَلَّةُ الشَّيْءِ وَكَثْرَةُ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ ، وَلَكِنْ أَصْلُ أَدَاتِهِ الْفَكْرُ وَقَصْرُ الْأَمَلِ وَمَرَاجَعَةُ التَّوْبَةِ

(1) (آل عمران : 14).

(2) انظر: محمد صالح، عبد الله ميرغني. الابتلاء وأثره في حياة المؤمنين. بلا طبعة. الرياض: دار الاعتصام. بلا تاريخ. ص 64.

(3) الترمذي. سنن الترمذي. كتاب الزهد. باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل. رقم الحديث (2320). 560/4. قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه.

(4) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الزكاة. باب كراهية الحرص على الدنيا. حديث رقم (1047). 724/2.

(5) القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (ت: 1332هـ): موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين. تحقيق: محمود بن محيي الدين الجنان بلا طبعة. بيروت: دار الكتب العلمية. 1415هـ - 1995م. 473/1.

(6) المحاسبي. آداب النفوس. 136/1.

(7) الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستي (ت: 388هـ): قصيدة عنوان الحكم . تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. ط: 1. حلب: مكتب المطبوعات

الإسلامية. 1404هـ - 1984م. 35/1.

والطهارة، وإخراج العزّ من القلب ولزوم التواضع وعمارة القلب بالتقوى وإدامة الحزن وكثرة الهم بما هو وارد عليه⁽¹⁾.

يقول ابن القيم رحمه الله:

حكم المنية في البرية جاري ما هذه الدنيا بدار قرار
اقضوا مآريكم سراعاً إنما أعماركم سفر من الأسفار
وتراكمضوا خيل السباق وبادروا إن تسترد فإنهن عواري
ودعوا إقامة تحت ظل زائل أنتم على سفر بهذي الدار
من يرجو طيب العيش فيها فإنما بيني الرجاء على شفير هار
والعيش كل العيش بعد فراقها في دار أهل السبق أكرم دار⁽²⁾

وتكمن غفلة الإنسان في الدنيا بعدم الانتفاع بالآيات القرآنية والإعراض عن الدليل مستلزم للإعراض والغفلة من المدلول المقصود.⁽³⁾

(1) المحاسبي. آداب النفوس. 136/1.

(2) ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: 751 هـ) :عدة الصابرين ونخبة الشاكرين. تحقيق: زكريا علي يوسف. بلا طبعة. بيروت: دار الكتب العلمية. بلا تاريخ. 206/1.

(3) انظر: السعدي. تيسير الكريم الرحمن. 358/1.

الفصل الثالث

عقوبة الغافلين في القرآن الكريم

المبحث الأول: دخول النار

المبحث الثاني: الانتقام

المبحث الثالث: الصرف عن آيات الله

المبحث الرابع: الخسارة

تمهيد

إن التكذيب بآيات الله المنظورة والمقروءة في هذا الكون باعث على استحقاق غضب الله سبحانه وعقابه، ويشمل التكذيب بها أيضاً الإعراض عنها، وعدم تقديرها، والانشغال بالهوى، واتباع الدنيا، والصد عن سبيل الله سبحانه. لذلك نجد أن الآيات قد ذكرت عقوبة الغفلة بكل أسبابها ورتبت عليها عواقب لا تحمد عقباها، كما قال الإمام الزمخشري رحمه الله: "كم أدلت الغفلة من الفطنة، وأطلت الاصطلاء بنار الفتنة"⁽¹⁾.

إن "قلة التوفيق، وفساد الرأي، وخفاء الحق، وفساد القلب، وخمول الذكر، وإضاعة الوقت، ونفرة الخلق، والوحشة بين العبد وبين ربه، ومنع إجابة الدعاء، وقسوة القلب، ومحق البركة في الرزق والعمر، وحرمان العلم، ولباس الذل، وإهانة العدو، وضيق الصدر، والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب ويضيعون الوقت، وطول الهم والغم، وضنك المعيشة، وكسف البال، تتولد عن المعصية والغفلة عن ذكر الله كما يتولد الزرع عن الماء والإحراق عن النار، وأضدادها هذه تتولد عن الطاعة"⁽²⁾.

لذلك نجد أن عقوبة الغافلين قد تنوعت في كتاب الله، فالغفلة تحبط العمل في الدنيا، وتكون سبباً في دخول النار في الآخرة.

(1) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي (ت: 538 هـ): أطواق الذهب في المواعظ والخطب. تحقيق: أسماء أبو بكر محمد. ط: 1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1414 هـ - 1994 م. ص 145.

(2) ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: 751 هـ): الفوائد. ط: 2. بيروت: دار الكتب العلمية. 1393 هـ - 1973 م. ص (22-23).

المبحث الأول

دخول النار

جعل الله سبحانه وتعالى النار جزاء من لم يرجُ لقاء الله سبحانه ورضي بالحياة الدنيا بزینتها وشهواتها وجعلها غايته وأسمى ما تسمو إليه نفسه. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾^(١). فدخل النار كان بسبب كسبهم، وهذا الكسب السيء الذي أدخلهم النار ناتج عن الغفلة.

يقول الإمام الرازي رحمه الله: "النيران على أقسام: النار التي هي جسم محسوس مضيء محرق، صاعداً بالطبع، والإقرار به واجب، لأجل أنه ثبت بالدلائل المذكورة أن الإقرار بالجنة والنار حق. القسم الثاني: النار الروحانية العقلية، وتقريره أن من أحب شيئاً حباً شديداً ثم ضاع عنه ذلك الشيء بحيث لا يمكنه الوصول إليه، فإنه يحترق قلبه وباطنه، وكل عاقل يقول: إن فلاناً محترق القلب محترق الباطن بسبب فراق ذلك المحبوب، وألم هذه النار أقوى بكثير من ألم النار المحسوسة. إذا عرفت هذا فنقول: إن الأرواح التي كانت مستغرقة في حب الجسمانيات وكانت غافلة عن حب عالم الروحانيات، فإذا مات ذلك الإنسان وقعت الفرقة بين ذلك الروح وبين معشوقاته ومحبوباته، وهي أحوال هذا العالم وليس له معرفة بذلك العالم، ولا إلف مع أهل ذلك العالم ... فهذا الإنسان يكون في غاية الوحشة، وتألم الروح فكذا هنا. أما لو كان نفوراً عن هذه الجسمانيات عارفاً بمقابحها ومعاييبها وكان شديد الرغبة في اعتلاق العروة الوثقى، عظيم الحب لله ... كما قال تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾^(٢).^(٣)

(١) (يونس: 7-8).

(٢) (النساء: 69).

(٣) الرازي. التفسير الكبير. 33/17.

فالكافر الذي لا يرجو لقاء الله سبحانه ويكفر بالآيات والمعجزات جزاؤه جهنم خالداً فيها. والمسلم المقصر في واجباته المفرط في أمر دينه ودنياه، الذي يتغافل عن هذا الذنب وهذه المعصية بحجة أنها صغيرة ويتجاهل عقوبة الغيبة أو النميمة أو الإساءة، فلربما تجتمع عليه هذه الصغائر فتصبح كبيرة فتهلكه وتدخله النار. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: "يا عائشة إِيَّاكَ وَمُحَقَّرَاتِ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ طَالِباً"⁽¹⁾.

(1) ابن ماجه. محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني (ت: 273هـ): سنن ابن ماجه. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار الفكر. كتاب الزهد. باب ذكر الذنوب.

1417/2. رقم الحديث (4243). قال الألباني: صحيح.

المبحث الثاني

الانتقام

"النَّعْمُ: بسكون القاف وفتحها، الإنكار على الفعل، وكراهة صدوره وحقد على فاعله، ويكون باللسان وبالعمل"⁽¹⁾ "والانتقام افتعال وهو العقوبة الشديدة الشبيهة بالنَّعْم. وهو غضب الحق على ذنب اعتداء على المنتقم ينكر ويكره فاعله"⁽²⁾.

قال تعالى: ﴿فَأَنقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾⁽³⁾ إن المثل الذي يضرب للكفر فرعون وملئه، ويبين سبحانه بأنهم استحقوا الانتقام والإغراق والإهلاك لوصولهم بعد كشف جميع الشبه إلى محض العناد. فقد أغرقوا بالبحر الذي كانوا يقصدونه لمنافعه، جزاءً لتكذيبهم بآيات الله وبالمعجزات التي جاء بها موسى ﷺ، فكان حالهم بعد الآيات والمعجزات كحالهم قبلها، فكأنها لم تأتهم أصلاً، فاستحقوا الأخذ لوقوع العلم بأن الآيات لا تفيدهم.⁽⁴⁾

"إن الجو هنا جو الأخذ الحاسم بعد الإمهال الطويل، فلا يعرض لشيء من التفصيل.. إن الحسم السريع هنا أوقع في النفس وأرهب للحس! ﴿فَأَنقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ ضربة واحدة، فإذا هم هالكون. ومن التعالي والتطاول والاستكبار إلى الهوي في الأعماق والأغوار، جزاء وفاقاً: ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ فيربط بين التكذيب بالآيات والغفلة عنها، وبين هذا المصير المقدور. ويقرر أن الأحداث لا تجري مصادفة ولا تمضي فلتات عابرة، كما يظن الغافلون".⁽⁵⁾

يقول الرازي: "اختلفوا في الكناية في (عنها) فقيل: إنها عائدة إلى النعمة التي دل عليها قوله: (انتقمنا)، والمعنى: وكانوا عن النعمة قبل حلولها غافلين. وقيل: الكناية عائدة إلى الآيات، وهو اختيار الزجاج. قال: لأنهم كانوا لا يعتبرون بالآيات التي تنزل بهم. فإن قيل: الغفلة ليست من فعل الإنسان ولا تحصل باختياره فكيف جاء الوعيد على الغفلة؟ قلنا: المراد بالغفلة هنا الإعراض عن الآيات وعدم الالتفات إليها. فهم أعرضوا عنها حتى صاروا كالغافلين عنها. فإن قيل: أليس قد ضموا إلى التكذيب والغفلة معاصي كثيرة؟ فكيف يكون الانتقام لهذين دون غيرهما؟

(1) ابن عاشور. التحرير والتنوير. 56/9.

(2) المرجع السابق. 74/9.

(3) (الأعراف: 136).

(4) انظر: البقاعي. نظم الدرر. 91/3.

(5) قطب، سيد. الظلال. 1360/3.

قلنا: ليس في الآية بيان أنه تعالى انتقم منهم لهذين معاً دلالة على نفي ما عداه، والآية تدل على أن الواجب في الآيات النظر فيها ولذلك ذمهم بأن غفلوا عنها وذلك يدل على أن التقليد طريق مذموم".⁽¹⁾

إن الأحداث لا تسير مصادفة، كما يظن الغافلون، فلربما ينتقم الله سبحانه وتعالى بالهلاك، ولربما ينتقم بأخذ ما أعطى من نعم، وذلك عندما لا يحسن الإنسان شكر الله عليها، بل يتجاهلها ويتعافل عنها.

(1) الرازي. التفسير الكبير. 180/14.

المبحث الثالث

الصرف عن آيات الله

قال تعالى: ﴿سَاصْرِفْ عَنْ عَائِنِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ عَائِي لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغِي يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِعَائِنَتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِعَائِنَتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ (١).

قال الشوكاني: ﴿سَاصْرِفْ عَنْ عَائِنِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾ سَأَمْنَعُهُمْ فُهم كتابي. وقيل: سأصرفهم عن الإيمان بها. وقيل: سأصرفهم عن نفعها مجازاة على تكبرهم، كما في قوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (٢). وقيل: سأطبع على قلوبهم حتى لا يتفكروا فيها ولا يعتبروا بها. واختلف في تفسير الآيات، فقيل: هي المعجزات. وقيل: الكتب المنزلة. وقيل: هي خلق السماوات والأرض. وصرفهم عنها أن لا يعتبروا بها، ولا مانع من حمل الآيات على جميع ذلك، حمل الصرف على جميع المعاني المذكورة (٣).

وهذا ما ذهب إليه الطبري أيضاً من أن الأولى أن يقال عن آياته "هي أدلته وأعلامه على حقيقة ما أمر به عباده وفرض عليهم من طاعته في توحيده وعدله وغير ذلك من فرائضه، والسماوات والأرض وكل موجود من خلقه فمن آياته، والقرآن أيضاً من آياته" (٤).
ويبين صاحب المنار أن هذا الصرف عن آيات الله ليس جبراً منه تعالى لأحد، فالله تعالى "لم يخلقهم مطبوعين على شيء مما ذكر طبعاً، ولم يجبرهم ويكرهم عليه إكراهاً، بل كان ذلك بكسبهم واختيارهم للتكذيب بآياته الدالة على الحق، والصدود عن سبيله الموصلة للرشد، وكانوا غافلين عنها دون أهوائهم لا يعطونها حقها من النظر والتأمل والتفكير والتدبر، لاشتغالهم عن ذلك بأهوائهم، وعصبيتهم لأنفسهم ولآبائهم، وبذلك قطعوا على أنفسهم طريق الهدى. فالغفلة هنا هي الغفلة المطبوعة المانعة من أسباب العلم والفتنة، لا أي نوع من أنواع الغفلة، بل هي المبينة في قوله تعالى من أواخر هذه السورة: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا

(1) (الأعراف: 146-147).

(2) (الصف: 5).

(3) الشوكاني. فتح القدير. 244/2.

(4) الطبري. جامع البيان. 60/9.

وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١﴾

الضالون من هؤلاء الغافلين عن آيات الله تعالى وما تهدي إليه من معرفته والاستعداد للحياة الأخرى الباقية هم الذين يقول الله تعالى في وصفهم ﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (٢) ويقول ﴿قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (٣) إذ كان لهم من الانهماك فيما هم فيه والغرور به واحتقار ما سواه ما يصددهم عن توجيه عقولهم إلى غيره. ومنهم متفرنجة المسلمين الجغرافيين في هذا العصر يحتقرون هداية الدين الروحية وما لها من التأثير العظيم في تهذيب النفس وحملها على الخير وصددها عن الشرور من الفواحش والمنكرات، وإنما غرهم وأضلهم أنهم في عصر وصل فيه الغربيون إلى غاية بعيدة من الفنون والصناعات كأنهم يرون أن من عاش في هذا العصر يجب أن يكون مثلهم عبداً لشهواته، ومقتضى ذلك أنه كان الأفضل لبني إسرائيل أن لا يتبعوا موسى عليه السلام، لأنه لم يكن عنده من زينة الدنيا وقوتها وصناعاتها وفنونها ما كان عند فرعون وقومه ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ (٤). (٥)

فمن الملاحظ أن هذا الصرف كان عقوبة للكفار على كفرهم وتكذيبهم وغفلتهم عن النظر في آيات الله في الكون كله، مع أنها علامات دالة على وحدانيته وربوبيته سبحانه إلا أن الكفار لم يقدروها حق التقدير، وأبوا إلا القول بأنها سحر وشعر وما يهلكهم إلا الدهر.

(١) (الأعراف: ١٧٩).

(٢) (إبراهيم: ٣).

(٣) (النساء: ١٦٧).

(٤) (الحشر: ٢).

(٥) رضا، محمد رشيد. المنار. ١٩٨/٩-١٩٩.

المبحث الرابع الخسارة

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (١٠٨) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ (١) تخص الآيات بالذكر المرتدين إيثاراً للدنيا على الآخرة، فرماهم بالعذاب ووصمهم بالغفلة، ذلك أن العقيدة لا يجوز أن تكون موضع مساومة، ومتى آمن القلب بالله فلا يجوز أن يدخل عليه مؤثر من مؤثرات هذه الأرض، فلأرض حساب وللعقيدة حساب، ولا يتداخلان، وليست العقيدة هزلاً أو قابلة للأخذ والرد، بل هي أعز ما يملك المؤمن (٢).

معلوم أن الله سبحانه وتعالى إنما أدخل الإنسان في الدنيا ليكون كالتاجر الذي يشتري بطاعته وأعماله سعادات الآخرة، فإذا انهمك في الدنيا واستحبها على الآخرة وطبع على قلبه وسمعه وبصره استحق العذاب الأليم فإذا حصلت هذه الموانع العظيمة عظم خسارته (٣).
فماذا يخسر الإنسان بغفلته في الدنيا؟

1. يخسر همته فيقصر في عباداته وأعماله ، فإن "دناءة الهمة تؤثر في الأعمال والنيات، كما يؤثر برد الشتاء في ناضر النبات، يلفح البرد مخضر الشجر فيصير يابساً، ويسقع مفتر الزهر فيعود عابساً، فكذلك برد العزيمة يجعل العامل عاطلاً والنابه خاملاً، فإن لم يكن بد من الفتور عن طلب الخيرات، فاضعف عن السيئات ضعفك عن الحسنات " (٤).

2. يقصر في أمره ويفرط فيه ، قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ (٥). قال الرازي: "معناه أن الأمر الذي يلزمه الحفظ له والاهتمام به وهو أمر دينه، يكون مخصوصاً بإيقاع التفريط والتقصير فيه، وهذه الحالة صفة من لا ينظر لدينه، وإنما عمله لدنياء. فبين تعالى من حال الغافلين عن ذكر الله

(1) (النحل : 108-109).

(2) انظر: قطب، سيد. في ظلال القرآن. 4/2196.

(3) انظر: ابن عادل. اللباب في علوم الكتاب. 12/169 .

(4) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي محمد(ت: 597 هـ) :التذكرة في الوعظ . تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتوح. ط:1. بيروت: دار المعرفة. 1406هـ. ص40.

(5) (الكهف: 28).

التابعين لهواهم أنهم مقصرون في مهماتهم معرضون عما وجب عليهم من التدبر في الآيات والتحفظ بمهمات الدنيا والآخرة".⁽¹⁾

3. **يضيع وقته:** لا شك أن المنشغل بالدنيا يضيع عمره ووقته، والوقت كالسيف إن لم تقطعه

قطعه، ومعرفة أهمية الوقت ضرورية للإنسان، ويجب عليه أن يدرك أنه محاسب على عمره فيما أفناه، ولقد نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن اتباع الصيد مع ما فيه من فوائد وذلك لغاية عظيمة، وهي عدم انشغال القلب به، وبالتالي إضاعة الوقت، قال عليه السلام: "مَنْ سَكَنَ الْبَادِيَةَ جَفَا، وَمَنْ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، وَمَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتُنَّ" ⁽²⁾ "أي يشتغل به قلبه ويستولي عليه حتى يصير فيه غفلة"⁽³⁾.

"والحقيقة أن البون شاسع بين موقف الإسلام من الوقت، وهو الموقف الذي يحصي كل دقيقة ويحاسب عليها إن عملاً وإن كسلاً، وبين أسلوب المسلمين في الحياة، وهو الأسلوب الذي يتفنن في إهدار الوقت بكل الطرق ... وفي الوقت الذي تفيدنا فيه التقارير أن عطاء الإنسان الأوروبي يتجاوز السبع ساعات، تفيدنا التقارير الرسمية أن عطاء الإنسان المسلم لا يتجاوز ثلاثين دقيقة"⁽⁴⁾.

"ومن العبارات التي أصبحت مألوفة لكثرة ما تدور على الألسنة وما يقال في المجالس والأندية عبارة (قتل الوقت) ... وما يدري هؤلاء المساكين أن من قتل وقته فقد قتل في الحقيقة نفسه! فهي جريمة انتحار بطيء ترتكب على مرأى ومسمع من الناس ولا يعاقب أحد عليها! وكيف يعاقب عليها من لا يشعر بها، ولا يدري مدى خطورها؟!"⁽⁵⁾

ومن مظاهر تضييع الوقت التسويف وتأجيل الأعمال. يقول الخطيب البغدادي محذراً من ذلك: "إياك وتأمير التسويف على نفسك، وإمكانه من قلبك، فإنه محل الكلال، وموئل التلف، وبه تُقَطَّع الآمال، وفيه تنقطع الآجال، فإنك إن فعلت ذلك أبدلت من عزمك وهواك عليه فعلاً، واسترجاعاً من بدنك من السامة ما قد ولي عنك"⁽⁶⁾.

أيها السكران بالآمال قد
حان الرحيل
ومشيب الرأس والفودين للموت
دليل

(1) الرازي. التفسير الكبير. 21 / 100-101 .

(2) الترمذي. سنن الترمذي. كتاب الفتن. حديث رقم (2256). 523/4. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عباس لا نعرفه إلا من حديث الثوري. قال الألباني: صحيح.

(3) العظيم آبادي. محمد شمس الحق (ت: 1329هـ) : عون المعبود شرح سنن أبي داود. ط: 2. بيروت: دار الكتب العلمية. 1995م. 44/8.

(4) القرضاوي. الوقت في حياة المسلم. ص 5.

(5) المرجع السابق. ص 18.

(6) الخطيب البغدادي، أحمد بن ثابت (ت: 463هـ) : اقتضاء العلم والعمل. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. ط: 4. بيروت: المكتب الإسلامي. 1397هـ. 114.

قليل

فانتبه من رقدة الغفلة فالعمر

داء دخيل⁽¹⁾.

واطرح سوف وحتى فهما

"فمن حق يومك عليك أن تغمره بالنافع من العلم والصالح من العمل، ولا تسوف إلى غد حتى يفلت منك حاضرك فيصبح ماضياً لا يعود أبداً فعليك أن تزرع في يومك لتحصد في غدك وإلا ندمت حيث لا ينفع الندم"⁽²⁾.

أما آفات التسويف فهي: "أولها: أنك لا تضمن أن تعيش إلى الغد ... وثانياً: أنك إن ضمنت حياتك إلى الغد فلا تأمن المعوقات من مرض طارئ أو شغل عارض ... ثالثاً: أن لكل يوم عمله ولكل وقت واجباته فليس هناك وقت فارغ من العمل"⁽³⁾.

هذه الخسارة في الدنيا، ولا شك أن الخسارة في الآخرة في الآخرة أشد وأبلى، عندما لا ينفع الندم ولا يمكن العودة إلى الدنيا واستدراك ما فات فيجد الإنسان نفسه أمام خسارة حقيقية، فقد خسر دنياه وآخرته واستحق - بسبب غفلته وإهماله وكفره وعناده - دخول النار.

(1) ابن الجوزي. أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت: 597هـ): التبصرة. 2ج. تحقيق: د. مصطفى عبد الواحد. ط: 1. مصر: دار الكتاب المصري. 1390 هـ - 1970 م.

96/1.

(2) القرضاوي، يوسف. الوقت في حياة المسلم. ط: 4. القاهرة: مكتبة وهبة. 1424 هـ - 2004 م. ص 66.

(3) المرجع السابق. ص (67 - 68).

الفصل الرابع

علاج الغفلة في القرآن الكريم

المبحث الأول: علو الهمة

المبحث الثاني: الذكر

المبحث الثالث: العبادة والتوكل على الله

المبحث الرابع: صحبة الأبرار

المبحث الخامس: اليقظة والحذر

المبحث السادس: العلم والعمل به

المبحث السابع: الاهتمام بالوقت

المبحث الأول

علو الهمة

إن علو الهمة من الأمور الكفيلة بعلاج الغفلة، لأنها الباعث على الجد والعمل، والقائد إلى الذكر والعبادة، واليقظة، والاهتمام بالوقت، وصحبة الأبرار وغيرها، قال تعالى: ﴿يَخَيِّحْ خُذِ

الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾⁽¹⁾ وجاء الخطاب القرآني للنبي عليه السلام بالأمر في كثير من الأحيان

﴿أَفْرَأَ﴾⁽²⁾ ﴿فَرَأَانِزِرَ﴾⁽³⁾ ﴿فَأَصْدَعِ بِمَا تُؤْمَرُ﴾⁽⁴⁾ .. وذلك لأن "كمال الإنسان إنما يتم بهذين النوعين:

همة ترقيه، وعلم يبصره ويهديه، فإن مراتب السعادة والفلاح إنما تفوت العبد من هاتين الجهتين أو من أحدهما، إما أن لا يكون له علم بها فلا يتحرك في طلبها، أو يكون عالماً بها ولا تنهض همته إليها فلا يزال في حضيض طبعه محبوساً وقلبه عن كماله الذي خلق له مصدوداً منكوساً قد أسام نفسه مع الأنعام راعياً مع الهمل، واستطاب لقيمات الراحة والبطالة، واستلان فراش العجز والكسل، لا كمن رُفِعَ له علم فشمر إليه وبورك له في تفرده في طريق طلبه فلزم واستقام عليه"⁽⁵⁾.

ولعلو الهمة ورفقها أسباب كثيرة، منها: الإخلاص، والبصيرة، والعلم، واليقظة، والتفكير،

والعزم على الكمالات، والدعاء. ⁽⁶⁾ فنحن نعرف أنه لا بد لأي عمل من إرادة وقدرة على ذلك العمل، والإرادة والهمة هما أساس حياتنا وأعمالنا. والإرادة "تلك المشيئة العازمة والجازمة والمعبرة عن رغبة شديدة في القيام بعمل من الأعمال ... وعلامة توفر الإرادة الحقيقية الأخذ بالأسباب، والعمل الحثيث من أجل المستقبل ... أما القدرة فهي الطاقة والقوة على فعل الشيء والتمكن منه ... إن الذي يقرر مصير الكثير من الأعمال هو ذلك القصور في الإرادة والمشيئة وليس القصور في القدرة والإمكانية، زيد وعمر وكل منهما قادر على أن يتصدق كل يوم بمبلغ زهيد من المال، وأن يقرأ كل يوم ساعة، وأن يذهب للصلاة جماعة، وأن يقرأ خمس صفحات من كتاب الله ... كل

(1) (مريم : 12).

(2) (العلق : 1).

(3) (المدثر : 2).

(4) (الحجر : 94).

(5) ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: 751هـ): مفتاح دار السعادة. قدم له وضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه: علي بن عبد الحميد. ط: 1.

السعودية: دار ابن عفان. 1416هـ - 1996م. 214/1.

(6) انظر: الغفاني، سيد بن حسين. صلاح الأمة في علو الهمة. قدم له الشيخ محمد صفوت نور الدين. ط: 2. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1427هـ - 2006م. 320-285/7.

منهما قادر فعلاً على ذلك، لكن زيد وحده هو الذي يفعل ذلك من دون عمرو، لهذا فإن مشكلة عمرو هي في الإرادة"⁽¹⁾.

ومن الملاحظ أن علو همة الإنسان وقوة إرادته يدفعانه إلى أداء الواجب ثم الزيادة على الواجبات، فالكثيرون يعرفون رفاهية الجسد وأناقته، أما أناقة الروح ورفاهيتها فلا يدركها الكثيرون، وتتمثل "في تلك المشاعر النبيلة والدافئة التي تغمرنا حين نتجاوز في أعمالنا مرحلة الواجب إلى مرحلة التطوع والتنفل، ومرحلة التضحية والعطاء المجاني. وتلك المشاعر هي مزيج من مشاعر الغبطة بما يسره الله تعالى وأعان عليه من عمل الخير، بالإضافة إلى مشاعر الفرح بالإنجاز، إلى جانب مشاعر الثقة بالنفس والتفوق، وإلى الشعور الجوهري الذي يغمرنا حين نكون على الطريق المستقيم"⁽²⁾.

"إن الله لا يحب أن يراك فارغاً عاطلاً. ولكن يحب أن يراك كادحاً. إن كل فترة في جهدك، وكل تراخ في نشاطك تعطيل للثروة التي أمرك الله بنتميرها، وإخماد للروح التي ندبك إلى تركيتها. ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾"⁽³⁾ ... إذا فرغت من عمل، فاشغل نفسك بعمل .. إذا فرغت من عمل لديك فاشغل نفسك بعمل لندياك. وإذا فرغت من عمل لندياك فاشتغل بعمل لديك، إذا فرغت من حاجة بدنك فخذ غذاء لعقلك أو متعة لروحك. وإذا فرغت من شأن نفسك فأقبل على شأن أسرتك ثم على شأن أمتك.. هكذا .. لا فراغ .. لا فراغ.. إلا استجماماً وتأهباً للعمل، إنه لا يركن إلى الفراغ إلا الفارغون ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾"⁽⁴⁾." ⁽⁵⁾

(1) بكّار. عبد الكريم. كيف نفهم الأشياء من حولنا. القاهرة: دار السلام. 1429 هـ. (109 - 111).

(2) المرجع السابق. (71 - 72).

(3) (الشمس : 9).

(4) (الأنبياء : 1).

(5) دراز. محمد عبد الله (ت:1958م) : زاد المسلم للدين والحياة. تحقيق: أحمد مصطفى فضلية. ط:2. القاهرة: دار القلم. 1429 هـ - 2008 م. ص (198 - 199).

المبحث الثاني

الذكر

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (1).

الذكر: "عام في الأذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتلهيل وغير ذلك" (2).
والذكر: هو التخلص من الغفلة والنسيان، وهو ثلاث درجات: الذكر الظاهر من ثناء أو دعاء، والذكر الخفي وهو الخلاص من الفتور، والذكر الحقيقي وهو شهود ذكر الحق (3).
"وفي الذكر أكثر من مائة فائدة" (4) "عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت" (5).
وذكر الله أكبر من كل شيء: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (6).

ولأهمية الذكر اعتبره العلماء قاعدة أساسية لهذا الدين، يقول ابن القيم في الفوائد: "مبنى الدين على قاعدتين الذكر والشكر" (7).

ولقد فاضل العلماء بين أقسام الذكر. يقول ابن القيم: "قراءة القرآن أفضل من الذكر، والذكر أفضل من الدعاء، هذا من حيث النظر لكل منهما مجرّداً. وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل... وهذا باب نافع يحتاج إلى فقه نفس وفرقان بين فضيلة الشيء في نفسه وبين فضيلته العارضة فيعطي كل ذي حق حقه ويوضع كل شيء موضعه" (8).

(1) (الأعراف: 205).

(2) الزمخشري. الكشاف. 181/2. النسخة. مدارك التنزيل. 53/2.

(3) انظر. الهروي. عبد الله الأنصاري (ت: 481هـ): منازل السائرين. بيروت: دار الكتب العلمية. 1408هـ - 1988م. 71/1.

(4) ابن القيم. الوابل الصيب. 56.

(5) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الفتن وأثرها الساعة. باب فضل ذكر الله عز وجل. رقم الحديث (6044). 2353/5.

(6) (العنكبوت: 45).

(7) ابن القيم. الفوائد. 128/1.

(8) ابن القيم. الوابل الصيب. (114 - 115).

وأرشدت الآية الكريمة من سورة الأعراف إلى كيفية الذكر ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾⁽¹⁾. فإن أفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان. يقول ابن القيم رحمه الله: "ومن ذكره تعالى ذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وأياديه ومواقع فضله على عبده .. فهذه خمسة أنواع وهي تكون بالقلب واللسان تارة وذلك أفضل الذكر، وبالقلب وحده وهي الدرجة الثانية، وباللسان وحده وهي الدرجة الثالثة. فأفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان. وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده، لأن ذكر القلب يثمر المعرفة، ويهيج المحبة، ويثير الحياء، ويبعث على المخافة، ويدعو إلى المراقبة، ويزغ عن التقصير في الطاعات والتهاون في المعاصي والسيئات، وذكر اللسان وحده لا يوجب شيئاً من هذه الآثار وإن أثر شيئاً منها فثمرته ضعيفة"⁽²⁾.

"فأول ما يحتاج إليه العازم على ذكر الله التفرغ من الشواغل الظاهرة، ثم إشعار نفسه عظمة ما قد عزم عليه من ذكر ربه، ثم استفراغ الوسع في تجويد الذكر، ثم إطالة المجلس ما أمكنه إطالته، ثم التحفظ بالحالة التي استفادها قلبه من الرقة باجتناب الملهيات من حين يقوم عن الذكر إلى أن يعود إليه. فهذه الشرائط السبع من راعاها حق الرعاية بلغ من مراد الذاكرين أقصى الغاية، من أحب شيئاً أكثر ذكره، ومن أجلّ أمراً أعظم قدره، ولا حبيب أحب من الله إلى أهل ولايته، ولا جليل أجلّ عند الله من أهل معرفته"⁽³⁾.

ثم يقول سبحانه: ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾. "التضرع: الخشوع في تواضع، والخيفة: الحذر من عقابه"⁽⁴⁾. ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ﴾ "لأن الإخفاء أدخل في الإخلاص وأقرب إلى حسن التفكير"⁽⁵⁾. فإن ذكر الله -كما توجه إليه هذه النصوص- ليس مجرد الذكر بالشفة واللسان ولكنه الذكر بالقلب والجنان. فذكر الله إن لم يرتعش له الوجدان، وإن لم يخفق له القلب، وإن لم تعش به النفس، وإن لم

(1) (الأعراف : 205).

(2) ابن القيم. الوابل الصيب. ص (111).

(3) ابن الجوزي. التذكرة في الوعظ. 1/ 119.

(4) ابن الجوزي. زاد المسير. 314/3.

(5) الزمخشري. الكشاف. 182/2.

يكن مصحوباً بالتضرع والتذلل والخشية والخوف، لن يكون ذكراً، بل قد يكون سوء أدب في حق الله سبحانه⁽¹⁾.

والنتيجة عدم استجابة الدعاء، وفوات المطلوب والمراد، لأن الله سبحانه لا يستجيب دعاء قلب لاهٍ غافل. قال ﷺ: "ادعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ وَعَلِّمُوا أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ"⁽²⁾.

وقوله سبحانه: ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ أما الغدو فهو "اسم لزمن الصباح وهو النصف الأول من النهار. و(الآصال) جمع أصيل وهو العشي وهو النصف الثاني من النهار إلى الغروب. والمقصود استيعاب أجزاء النهار بحسب المتعارف، فأما الليل فهو زمن النوم والأوقات التي تحصل فيها اليقظة خُصت بأمر خاص مثل قوله تعالى: ﴿وَأَلَّيْلًا قَلِيلًا﴾⁽³⁾ على أنها تدخل في عموم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾"⁽⁴⁾.

والسبب في تخصيص (الغدو والآصال) بالذكر هو أهمية الذكر وأهمية هذه الأوقات للمسلم "ففي أول النهار يتزود الإنسان بهذا الزاد الطيب الذي يغذي به مشاعره وأحاسيسه، ويشحن به عواطفه ونوازعه.. ثم يخرج إلى الحياة، ومعه هذا الرصيد العظيم من أمداد الله ورحماته فيواجه الحياة بقلب سليم وعزم موثق ولسان عفّ ويد نقية، فيكون هذا كله في حراسة أمينة يقظة، فلا يزل ولا ينحرف! فإذا كان آخر النهار، كان له إلى نفسه عودة ومراجعة فيعرضها على الله، ويصلح ما وقع لها من خلل أثناء رحلتها مع الحياة طوال اليوم .. وبهذا يظل المؤمن المتصل بالله هذا الاتصال - يظل على الصحة والسلامة أبداً فيقطع العمر، معافى في دينه، سعيداً في دنياه، طامعاً في رضى الله ورضوانه، يوم يقوم الناس لرب العالمين"⁽⁵⁾.

"وقوله: ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ يدل على أن الذكر القلبي يجب أن يكون دائماً، وأن لا يغفل الإنسان لحظة واحدة عن استحضار جلال الله وكبريائه بقدر الطاقة البشرية والقوة الإنسانية، وتحقيق القول أن بين الروح وبين البدن علاقة عجيبة لأن كل أثر حصل في جوهر الروح نزل منه أثر إلى

(1) قطب، سيد. في ظلال القرآن. 1426/3 - 1427.

(2) الترمذي. سنن الترمذي. كتاب الدعوات. باب جامع الدعوات عن النبي ﷺ. رقم الحديث (3479). 517/5. قال الترمذي: حديث غريب. قال الشيخ الألباني: حسن.

(3) (المزمل : 2).

(4) ابن عاشور. التحرير والتنوير. 242/9.

(5) الخطيب، عبد الكريم. التفسير القرآني للقرآن. 16 مج. بلا طبعة. بلا دار نشر. بلا تاريخ. 199/1.

البدن، وكل حالة حصلت في البدن صعدت منها نتائج إلى الروح ... وأيضاً إذا واضب الإنسان على عمل من الأعمال وكرر مرات وكرات حصلت ملكة قوية راسخة في جوهر النفس⁽¹⁾.
ثم ذكر مثالا من اجتهاد الملائكة ليحث على الجد في طاعة الله عز وجل واصفاً حال الملائكة في تواضعهم وإيمانهم للعبادة والتسبيح والسجود ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ، وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾⁽²⁾.⁽³⁾

قال رسول الله ﷺ: "إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، إن السماء أظت⁽⁴⁾ وحق لها أن تنظ ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلتذتكم بالنساء على الفرشات ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله والله لو ددت أني كنت شجرة تعضد".⁽⁵⁾
"فإن الملائكة الذين لا يخطئون يذكرون ويسبحون ويسجدون فما أولى البشر الخطائين أن لا يغفلوا عن الذكر والتسبيح والسجود"⁽⁶⁾.

"ولم يقتصر الذكر بكونه عبادة الإنسان والملائكة والجن فقط بل هو -عبادة جميع الكائنات من أرض وسماء وشجر ومدر وجماد ونبات، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ لَّهُ قَلْنُونَ﴾"⁽⁷⁾ وقال تعالى: ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾"⁽⁸⁾.⁽⁹⁾

ولقد حذرت الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ من الغفلة عن ذكر الله سبحانه، هذا وإن قوله

(1) الرازي. التفسير الكبير. 89/15.

(2) (الأعراف : 206).

(3) انظر: ابن عطية. المحرر الوجيز. 495/2.

(4) "أظت السماء: بتشديد الطاء من الأظيط وهو صوت الأفتاب وأظيط الإبل أصواتها وحنينها". المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت: 1353هـ) :

تحفة الأحوذ في شرح سنن الترمذي. بلا طبعة. بيروت: دار الكتب العلمية. بلا تاريخ. 495/6.

(5) الترمذي. سنن الترمذي. كتاب الزهد. باب قول النبي ﷺ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً. رقم الحديث (4190). 556/4.

(6) قطب، سيد. في ظلال القرآن. 1418/3.

(7) (الروم : 26).

(8) (الإسراء : 44).

(9) العفاني، سيد بن حسين. ترطيب الأفواه بذكر من يظلمهم الله. ط: 2. القاهرة: دار العفاني. 1427هـ - 2006م. ص 92.

تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ "أشد في الانتفاء وفي النهي من نحو: ولا تغفل، لأنه يفرض جماعة يحق عليهم وصف الغافلين فيحذر من أن يكون في زمرتهم، وذلك أبين للحالة المنهي عنها"⁽¹⁾. هذا وإن الإنسان الذاكر لله تعالى يكون حاضر القلب والذهن وليس غافلاً عن شرع الله سبحانه، فهو أبعد ما يكون عن الوقوع في المعاصي والانحراف. أما الإنسان الذي لا يذكر ربه فتراه يقع في المعاصي والآثام بعيداً عن السلوك القويم.

ومن الجدير بالذكر أن الإنسان الغافل عن ذكر ربه سبحانه نجده في غفلة عن السلوك القويم الذي يجب أن يتبعه، فتراه لا يحب مجالس الخير "فتدعوه إلى درس وإلى محاضرة، فيقول: الحمد لله، الناس عندهم خير! الإعلام يبيث، والصحف تعلم، والتلفاز والراديو أيضاً! وما أصبحنا في جهل!"⁽²⁾ ولكن للأسف لا يستفيد من محاضرة ولا درس ولا يأخذ بما في المحطات والإذاعات من فوائد وعظات، ولا يطبق شيئاً يغير به واقعه السيء، لأنه في جهل تام ويشعر أن ما يعيشه هو الصواب ولا حاجة به إلى تغيير شيء.

(1) ابن عاشور. التحرير والتنوير. 242/9.

(2) القرني، عائض بن عبد الله، إلى الذين أسرفوا على أنفسهم. ط: 2. بيروت: دار ابن حزم. 1422 هـ - 2001 م. 175.

المبحث الثالث

العبادة والتوكل على الله

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾⁽¹⁾.

المطلب الأول: العبادة.

"العبادة التي يريد بها الله من الخلق، هي: فعل كل ما أحبه الله ورسوله ﷺ من الأقوال والأفعال الظاهرة والخفية، والقيام بما شرع الله ورسوله ﷺ، واجتناب ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ"⁽²⁾. يقول الرازي: "من المراتب التي يجب على الإنسان كونه عالماً بها، أن يعرف ما هو مهم له في زمان حياته في الدنيا، وما ذلك إلا تكميل النفس بالمعارف الروحانية والجلالية القدسية، وهذه المرتبة لها بداية ونهاية. أما بدايتها فالاشتغال بالعبادات الجسدانية والروحانية، أما العبادات الجسدانية، فأفضل الحركات الصلاة، وأكمل السككات الصيام، وأنفع البر الصدقة. وأما العبادة الروحانية فهي: الفكر، والتأمل في عجائب صنع الله تعالى في ملكوت السماوات والأرض، كما قال تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾"⁽³⁾، وأما نهاية هذه المرتبة، فالانتهاء من الأسباب إلى مسببها، وقطع النظر عن كل الممكنات والمبدعات، وتوجيه حدة العقل إلى نور عالم الجلال، واستغراق الروح في أضواء عالم الكبرياء، ومن وصل إلى هذه الدرجة رأى كل ما سواه مهرولاً تائهاً في ساحة كبريائه هالكةً فانياً في فناء سناء أسمائه. وحاصل الكلام: أن أول درجات السير إلى الله تعالى هو عبودية الله، وآخرها التوكل على الله، فلهذا السبب قال ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾"⁽⁴⁾.

يقول الإمام الغزالي رحمه الله: "إن الزكاة إن غفل الإنسان عنها مثلاً فهي في نفسها مخالفة للشهوة شديدة على النفس، وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة الهوى الذي هو آلة للشيطان عدو الله فلا يبعد أن يحصل منها مقصود مع الغفلة، وكذلك الحج أفعاله شاقة شديدة، وفيه من المجاهدة ما يحصل به الإيلام كان القلب حاضراً مع أفعاله أو لم يكن، أما الصلاة فليس

(1) (هود: 123).

(2) القرني. عائض بن عبد الله. بهجة التفسير. 13.

(3) (آل عمران: 191).

(4) الرازي. التفسير الكبير. 18/ 65-66.

فيها إلا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود، فأما الذكر فإنه محاورة ومناجاة مع الله عز وجل، فأما أن يكون المقصود فيه كونه خطاباً ومحاورة أو المقصود منه الحروف والأصوات امتحاناً للسان بالعمل ... ولا شك أن هذا القسم باطل، فإن تحريك اللسان بالهذيان ما أخفه على الغافل، فليس فيه امتحان من حيث إنه عمل، بل المقصود الحروف من حيث إنه نطق، ولا يكون نطقاً إلا إذا أعرب عما في الضمير، ولا يكون معرباً إلا بحضور القلب، فأى سؤال في قوله: ﴿أَمَدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إذا كان القلب غافلاً؟ وإذا لم يقصد كونه تضرعاً ودعاءً فأى مشقة في تحريك اللسان مع الغفلة لا سيما بعد الاعتياد؟⁽¹⁾

من هنا ندرك لماذا لا تعمل الصلاة فينا عملها في السابقين، ونستطيع القول: إنه لو صحت صلاتنا كما أراد الله سبحانه لصحت حياتنا واستقام أمرنا. لكنها حركات اعتاد عليها الناس لا علاقة لها بخلق ولا سلوك ولا سمو روح. فالعبادات الحقيقية إذا كانت مكتملة الأركان والشروط، فهي بلا شك تبعد الإنسان عن الغفلة وتجعله حاضراً بين يدي الله تعالى، وتقوم سلوكه مع الناس، أما الإنسان الذي لا يعبد الله تعالى فهو غافل عنه، مقصر في واجباته، سيء في سلوكه وتصرفاته وما يصدر عنه.

المطلب الثاني: التوكل على الله.

"التوكل هو عمل وأمل مع هدوء قلب وطمأنينة نفس، واعتقاد جازم أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً".⁽²⁾

إن التوكل محض العبودية التي جزاؤها الكفاية، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ

حَسْبُهُ﴾⁽³⁾ أي كافيته، فربط الكفاية بالتوكل كربط سائر الأسباب بمسبباتها، فالعلة شهود حصول الكفاية بفعلك وتوكلك غير ناظر إلى مسبب الأسباب الذي أجرى عليك هذا السبب ليوصلك به إلى الكفاية، فأول الأمر وآخره منه، فهو المنعم بالسبب والمسبب جميعاً. ولكن لا يوجب نظر العبد إلى المسبب بالمنعم بالسبب قطع نظره عن السبب والقيام به، بل الواجب القيام بالأمرين معاً. إن القيام بالسبب محض الكمال، ودليل العبودية، وهو كجعل الإسلام والإيمان والإحسان أسباباً مقتضية

(1) الغزالي. إحياء علوم الدين. 226/3-227.

(2) مراد. مصطفى. منهاج المؤمن. ط:2. القاهرة: دار الفجر للتراث. 1425هـ - 2004م. ص 107.

(3) (الطلاق : 3).

للفلاح والسعادة، وكجعل سائر أعمال القلوب أسباباً للجزاء، فالأسباب التي تكون مباشرتها نقصاً هي الأسباب التي تضعف التوكل، وأما أن يكون التوكل نفسه ناقصاً لكون التحقق به تحققاً بالسبب فقلب للحقائق.⁽¹⁾

"فمنع الأسباب أن تكون أسباباً قدح في العقل والشرع. وإثباتها والوقوف معها وقطع النظر عن مسببها قدح في التوحيد. والتوكل والقيام بها وتنزيلها منازلها والنظر إلى مسببها وتعلق القيام به، جمع بين الأمر والتوحيد وبين الشرع والقدر، وهو الكمال".⁽²⁾

والتوكل على الله سبحانه من أسباب قوة المسلم، ونقيضه التواكل وهو سبب التخلف والضعف. "التوكل مكانه القلب، وأما الأخذ بالأسباب فمكانه الجوارح والأعضاء، فإذا تركنا الأخذ بالأسباب توكلنا على الله وقعنا في مرض خطير.. هو سبب تخلف المسلمين، ويطلق على هذه الحالة المرضية الخطيرة التي تصيب المسلمين بالشلل (التواكل) وهو نقيض التوكل".⁽³⁾

توكل على الرحمن في كل حاجة ولا تؤثرن العجز يوماً على الطلب
ألم تر أن الله قال لمريم إليك فهزي الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزها جنته ولكن كل شيء له سبب.⁽⁴⁾

فالتوكل على الله سبحانه يبعث في النفس الجد والنشاط وبذل الجهد بغض النظر عن النتائج، وهذا أمر يحتاج إلى صبر ومصابرة وتوطيد النفس على الثقة بالله عز وجل، ألا ترى أن الخضر عندما أراد تعليم موسى عليه السلام قال له: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (١٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا. ⁽⁵⁾

وقد يغفل بعض الناس عن هذا الأمر ويترك العنان لحياته أن تسير بلا تخطيط ولا علم، ولا شك أن حياته ستسير لكن الذي يتيقظ إلى التوكل على الله سبحانه والأخذ بالأسباب، لا شك أن حياته ستسير بخطى أسرع، وتوفيق وسداد أكبر.

(1) انظر: ابن القيم. أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: 751هـ): طريق الهجرتين وباب السعادتين. تحقيق: محمد أحمل الإصلاحي. ط: 1. السعودية: دار

عالم الفوائد، 1429هـ. 563.

(2) المرجع السابق. 564.

(3) النابلسي، محمد راتب. نظرات في الإسلام. ط: 5. دمشق: دار المكتبي. 1428هـ - 2007م. ص 230.

(4) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله النمري (ت: 463هـ) : بهجة المجالس وأنس المجالس. بلا طبعة. بلا دار نشر. بلا تاريخ. 26/1.

(5) (الكهف: 67 - 68).

المبحث الرابع

صحبة الأبرار

قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾⁽¹⁾.

المطلب الأول: الأخوة الإيمانية.

"الناس مهما اختلفت أعراقهم وبيئاتهم ومستوياتهم وأحوالهم هم من طبيعة واحدة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾⁽²⁾. ولهم فطرة واحدة، قال تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾⁽³⁾ فمن لوازم هذه الخصائص المشتركة التي يلتقي عندها بنو البشر أن تسود الأخوة الإنسانية فيما بينهم ... ولقد جاء التشريع الإلهي -إن في الكتاب أو في السنة- يحض على الحفاظ على هذه الأخوة الإنسانية والعمل على تميمتها، منطلقاً من وحدة البنية النفسية لبني البشر، ومن أن الإنسان يتكامل في حاجاته الأساسية والثانوية مع أخيه الإنسان، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾⁽⁴⁾. أما أخوة الإيمان فهي أصل من أصوله، وألزم لوازمه، والمظهر الصارخ له، وقد قرر القرآن الكريم هذا الأصل الكبير في العلاقة بين المؤمنين، فقال جل من قائل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾⁽⁵⁾." (6)

لذلك يجب على الإنسان أن يتخير من الأصحاب أتقاهم وأكثرهم إيماناً وهدى، ولتكن أخوة صادقة، لأن هذه الأخوة هي التي توجب المحبة في الله، وهذه المحبة أوثق عرى الإيمان، كما قال عليه السلام في الحديث الذي يرويه البراء بن عازب قال: "كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَيُّ عُرَى الْإِسْلَامِ أَوْسَطُ؟ فَقَالُوا: الصَّلَاةُ. قَالَ: "حَسَنَةٌ وَمَا هِيَ بِهَا؟" قَالُوا: الزَّكَاةُ، قَالَ: "حَسَنَةٌ وَمَا هِيَ بِهَا؟"

(1) (الكهف : 28).

(2) (الأعراف : 189).

(3) (الروم : 30).

(4) (الحجرات : 13).

(5) (الحجرات : 10).

(6) التابلسي. نظرات في الإسلام. 155-156.

قَالُوا: صَيَامُ رَمَضَانَ، قَالَ: "حَسَنٌ وَمَا هُوَ بِهِ؟" قَالُوا: الْحَجَّ، قَالَ: "حَسَنٌ وَمَا هُوَ بِهِ؟" قَالُوا: الْجِهَادُ، قَالَ: "حَسَنٌ وَمَا هُوَ بِهِ؟" قَالَ: "إِنَّ أَوْسَطَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ".⁽¹⁾

ومن هنا جاءت عناية الإسلام بأخلاق الأصدقاء، لأن الإنسان يتأثر بأصدقائه، فكل قرين بالمقارن يقتدي. عن النبي ﷺ قال: "مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمَسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلِ الْمَسْكِ إِمَّا أَنْ يَحْذِيكَ⁽²⁾ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحاً خَبِيثَةً"⁽³⁾.

وفي الحديث "النهي عن مجالسة من يتأذى بمجالسته في الدين والدنيا والترغيب في مجالسة من ينفع بمجالسته فيهما".⁽⁴⁾

المطلب الثاني: التحول عن البيئة المثبطة.

إن للبيئة والمجتمع المحيطان بالإنسان دوراً كبيراً في بناء شخصية الفرد، فكلما كان مجتمعاً متماسكاً قوياً أعطى القوة لأبنائه، فالمجتمع هو الأساس الذي تبنى عليه حضارة الأمم. فالمجتمع القوي يرتقي بأفراده إلى سلم الحضارة والصناعة والفكر والتطور والعكس صحيح. فإذا كان المجتمع متأخراً والدولة متخلفة، انعكس ذلك على الأفراد فلا يتطلعون إلى المعالي ولا يقيم لهم كيان ولا تبنى لهم حضارة ومجد.

فإذا كانت بيئة المسلم "مثبطة داعية إلى الكسل والخمول وإيثار الدون، فإن على المرء أن يهجرها إلى حيث تعلقو همته. كي يتحرر من سلطان تأثيرها، وينعم بفرصة الترقى إلى المطالب العالية".⁽⁵⁾

العالية".⁽⁵⁾

(1) أحمد بن حنبل. مسند أحمد. من حديث البراء بن عازب. رقم الحديث (18547). 286/4. قال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد: "رواه أحمد. وفيه ليث بن أبي سليم

وضعه الأكثر". قال الألباني: هذا سند ضعيف جداً، حنث هذا متروك كما في التقريب وغيره، لكن للحديث شواهد عدة يتقوى بها. السلسلة الصحيحة. 72/3.

(2) يحذيك: يعطيك وزناً ومعنى. العسقلاني، ابن حجر. فتح الباري. 661/9.

(3) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الذبائح والصيد. باب المسك. 2104/5. حديث رقم (5214).

(4) العسقلاني، ابن حجر. فتح الباري. 324/4.

(5) المقدم، محمد بن إسماعيل. علو الهمة. بلا طبعة. القاهرة: دار ابن الجوزي. بلا تاريخ. ص 350.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾⁽¹⁾، فقله سبحانه ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي ومن يهاجر في طاعة الله إلى المدينة يجد في الأرض مراغماً كثيراً، بمعنى: يجد ملجأً متحولاً من الكفر إلى الإيمان.⁽²⁾

قال الماوردي " وفي قوله تعالى ﴿وَسَعَةً﴾ ثلاث تأويلات: "أحدها: سعة في الرزق وهو قول ابن عباس، والثاني: يعني من الضلالة إلى الهدى ومن العيلة إلى الغنى وهو قول قتادة، والثالث: سعة في إظهار الدين"⁽³⁾.

لذلك فإن كل هجرة "لغرض ديني من طلب علم أو حج، أو جهاد، أو فرار إلى بلد يزداد فيه طاعة أو قناعة وزهداً في الدنيا، أو ابتغاء رزق طيب، فهي هجرة إلى الله ورسوله".⁽⁴⁾ لذلك لا يجوز للمسلم أن يبقى في بيئته إن كانت بيئة ضلال وخمول وفساد. بل يجب أن يهجرها إلى حيث يجد نفسه ويتمكن من العيش الكريم، لأن الله سبحانه يؤاخذ الإنسان بهذا الجمود في مكانه بقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾⁽⁵⁾.

(1) (النساء: 100).

(2) انظر: السمرقندي. بحر العلوم. 357/1.

(3) الماوردي. أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت: 450هـ): النكت والعيون (تفسير الماوردي). تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. بلا

طبعة بيروت: دار الكتب العلمية. بلا تاريخ. 522/1.

(4) الزمخشري. الكشاف. 590/1.

(5) (النساء: 97).

المبحث الخامس

اليقظة والحذر

المطلب الأول: اليقظة.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾⁽¹⁾ "القومة لله هي اليقظة من سنة الغفلة والنهوض من ورطة الفترة"⁽²⁾، قال الزمخشري: "الانتصاب في الأمر، والنهوض فيه بالهمة"⁽³⁾.

"أول منازل العبودية (اليقظة) وهي انزعاج القلب لروعة الانتباه من رقدة الغافلين، والله ما أنفع هذه الروعة وما أعظم قدرها وما أشد إعانتها على السلوك، فمن أحس بها فقد أحس والله بالفلاح، وإلا فهو في سكرات الغفلة فإذا انتبه شمّر الله بهمته إلى السفر إلى منازل الأولى وأوطانه التي سبي منها:

فحيي على جنات عدن فإنها منازلك الأولى وفيها المقيم ولكننا سبي العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم ... فإذا استيقظ أوجبت له اليقظة الفكرة هي تحديق القلب نحو المطلوب ... فإذا صحت فكرته أوجبت له البصيرة فهي نور في القلب يبصر به"⁽⁴⁾.

"اليقظة هي ثلاثة أشياء: الأول لحظ القلب إلى النعمة على الإيأس من عدها والوقوف على حدها والتفرغ إلى معرفة المنّة بها والعلم بالتقصير في حقها، والثاني مطالعة الجناية والوقوف على الخطر فيها والتشمير لتداركها والتخلص من ريقها وطلب النجاة بتمحيصها، والثالث الانتباه لمعرفة الزيادة والنقصان في الأيام والتتصل عن تضييعها والنظر إلى الضن بها ليدارك فائتها ويعمر باقيها"⁽⁵⁾.

(1) (سبأ : 46).

(2) الهروي. منازل السائرين. ص (11).

(3) الزمخشري. الكشاف. 598/3.

(4) ابن القيم. مدارج السالكين. 123/1.

(5) الهروي. منازل السائرين. ص (12).

فعندما يكون الإنسان يقظاً فإنه ينزعج لرقدة الغافلين ويدرك سوء ما هم فيه، فيحاول بذل الجهد لإنقاذ نفسه من المعاصي والابتعاد عنها وإعانة الغير وتبصيرهم بما يجب أن يكونوا عليه في العبادة والحياة والسلوك القويم.

"إن أبين علامات التيقظ الهم والحزن، ثم حسن الاستعداد لما اهتم له وحزن عليه، وأبين علامات الغفلة البطر والمرح لأنهما يسهيان وينسيان التيقظ، وفي ترك التيقظ ترك الاستعداد لما بعد الموت"⁽¹⁾.

وأكثر ما يعين على التيقظ إخلاص الدعاء ومصاحبة من يريد ما تريد ومفارقة من لا يريد ما تريد.⁽²⁾

المطلب الثاني: الحذر.

"الحذر: هو اجتناب الشيء خوفاً منه"⁽³⁾

وينبغي للمسلم أن يكون حذراً في أمور حياته. وقد جاء الأمر بالحذر للمسلمين في مواضع عدة في القرآن الكريم منها:

أولاً: الحذر من الله ، قال تعالى: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾⁽⁴⁾ أي "يخوفكم الله من نفسه أن ترتكبوا معاصيه أو توالوا أعداءه، فإن الله مرجعكم ومصيركم بعد مماتكم ويوم حشركم لموقف الحساب. يعني بذلك متى صرتم إليه وقد خالفتم ما أمركم به وآتيتم ما نهاكم عنه من اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، نالكم من عقاب ربكم ما لا قبل لكم به. يقول: فاتقوه واحذروه أن ينالكم ذلك منه فإنه شديد العقاب".⁽⁵⁾

(1) المحاسبي. آداب النفوس. 117/1.

(2) انظر: المرجع السابق. 118/1.

(3) ابن منظور. لسان العرب. 467/7.

(4) (آل عمران: 28).

(5) الطبري. جامع البيان . 230/3.

ثانياً: **الحذر من النفس** . فإن النفس أمانة بالسوء، قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾⁽¹⁾ فإن النفس البشرية كثيرة الميل إلى الشهوات مستعملة في تحصينها القوى والآلات. فيجب الحذر من النفس وعدم الغفلة عنها.⁽²⁾

ثالثاً: **الحذر من فتنه الأزواج والأولاد** . قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ^{١٤} وَإِن تَعَفَّوْاْ وَتَصَفَّحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ^{١٥}﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ^{١٥}﴾⁽³⁾. في الآيات تنبيه المسلمين إلى أحوال بيوتهم وعائلاتهم ليأخذوا حذرهم حتى لا يفتنتوا بها " فالمعنى أن الله ابتلى العبد بالمال والأهل لينظر أطييعه أو يعصيه ... فإن مال العبد إليهما خسر، وإن صبر على العزوف عنهما وأتاب إلى إثارة جانب الطاعة عليهما فالله عنده أجر عظيم " ⁽⁴⁾، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ^{١٥}﴾⁽⁵⁾.

رابعاً: **الحذر من الآخرة** . قال تعالى: ﴿أَمَنَ هُوَ فَنِتْ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ^{١٦} قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُاْ الْأَلْبَابِ^{١٦}﴾⁽⁶⁾، فالحذر من الآخرة حذر من أهوالها وأحوالها وما يحدث فيها.

خامساً: **الحذر من العدو** . قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَائِكُمْ وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَّمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ^{١٧} وَدَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَاحِدَةً^{١٧} وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ^{١٧} وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ^{١٧} إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا^{١٧}﴾⁽⁷⁾ فقد "جعل الحذر هو التحرز والتهيؤ آلة يستعملها

(1) (يوسف: 53).

(2) انظر : الآلوسي . روح المعاني . 2/13

(3) (التغابن: 14-15).

(4) ابن العربي. أبو بكر محمد بن عبد الله (ت:543هـ) : أحكام القرآن. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. بلا طبعه. لبنان: دار الفكر. بلا تاريخ. 266/4.

(5) (المنافقون: 9).

(6) (الزمر: 9).

(7) (النساء : 102).

الغازي، فلذلك جمع بينه وبين الأسلحة في الأخذ وجعلاً مأخوذين" ⁽¹⁾ ولا ينبغي للمسلم أن تلهيه أمور دينه عن دنياه ولا شؤون دنياه عن دينه بل أمر الله سبحانه المؤمنين ضرورة "الأخذ بالحزم في كل الأمور وليريههم أن صلاح الدين والدنيا صنوان" ⁽²⁾.

(1) الزمخشري. الكشف. 596/1.

(2) ابن عاشور. التحرير والتنوير. 187/5.

المبحث السادس

العلم والعمل به

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰؤُلَاءِ الْأَلْبَابِ﴾⁽¹⁾، فقد دلت

الآية الكريمة أن الذي يتذكر ما له وما عليه هو صاحب العقل السليم، ومن الجدير بالذكر أن التذكر والذكر نقيض النسيان والغفلة فإذا كان النسيان والغفلة تدلان على ترك الإنسان ضبط ما استودع حفظه فإن التذكر يعني حفظ ما يجب عليه حفظه من أموره. لذلك نجد أن ابن الجوزي ذكر في معنى قوله تعالى: ﴿خُذُوا مَآءَ آتَيْنَكُم بِقُوَّةٍ﴾⁽²⁾ أن الذكر بمعنى الحفظ.⁽³⁾

ثم أكد سبحانه في مجال الحديث عن عدم المساواة بين العالم والجاهل حيث قال لرسوله الكريم: "قل يا محمد لهؤلاء: هل يستوي الذين يعلمون ما لهم في طاعة ربهم من ثواب، وما لهم في معصيته من عقاب، والذين لا يعلمون ذلك؟ وإنما يعتبر بحجج الله ويتعظ بها، ويتدبرها أهل العقول والأفهام لا أهل الجهل والغفلة".⁽⁴⁾

وقد دلت آثار كثيرة على فضل العلم وأهميته، منها قوله ﷺ: "من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم، وإنه ليستغفر للعالم من في السماوات والأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء هم ورثة الأنبياء لم يرثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر"⁽⁵⁾.

وتكمن أهمية العلم في أنه الطريق الموصلة إلى سعادة الدنيا والآخرة وذلك أنك "إذا نظرت إلى العلم رأيت أنه لذيقاً في نفسه فيكون مطلوباً لذاته، ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها وذريعة إلى القرب من الله تعالى، ولا يتوصل إليه إلا به، وأعظم الأشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الأبدية، وأفضل الأشياء ما هو وسيلة إليها، ولن يتوصل إليها إلا بالعلم والعمل ولا يتوصل إلى

(1) (الزمر : 9).

(2) (البقرة: 63).

(3) ابن الجوزي. نزهة الأعين والنواظر في علم الوجوه والنظائر. 296.

(4) حومد. أسعد. أسير التفاسير. بلا طبعة. بلا مكان نشر. بلا تاريخ. 3946/1.

(5) ابن حنبل. أحمد أبو عبد الله الشيباني. مسند أحمد بن حنبل. مصر: مؤسسة قرطبة. من حديث أبي الدرداء ؓ. رقم الحديث (21763). 26/3. هذا الحديث على شرط

الشيخين ولم يخرجاه/ المستدرك على الصحيحين. 165/1. قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره. وهذا إسناد ضعيف.

العمل إلا بالعلم بكيفية العمل، فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم فهو إذن أفضل الأعمال، وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء أيضاً بشرف ثمرته وقد عرفت أن ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بأفق الملائكة ومقارنة الملائكة الأعلى هذا في الآخرة، وأما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع⁽¹⁾.

وينبغي للإنسان أن يدرك أن العلم ليس فقط معرفة المجهول بل أن نستفيد من معرفته. ⁽²⁾ "يجب للمتعلّم أن يعرف فضل ما بين طلب العلم للمناسبة والشهوة وبين طلبه للرغبة، وأن يعلم أن العلم لا يوجد بمكنونه ولا يسمح بسرّه ومخزونه إلا لمن رغب فيه، لكرم عنصره وفضل جوهره، ورفعة عن التكسب، وصانه عن الشباك وانتفع به، وأنه لا يعطيه خالص فائدته حتى يعطيه خالص محبته"⁽³⁾.

إن العلم لا ينفع إذا لم يعمل به، فلا بد من الجمع بين العلم والعمل "وهل أدرك من أدرك من السلف الماضين الدرجات العلى إلا بإخلاص المعتقد، والعمل الصالح، والزهد الغالب، في كل ما راق من الدنيا"⁽⁴⁾. "لو نفع العلم بلا عمل لما ذم الله سبحانه أحبار أهل الكتاب، ولو نفع العمل بلا إخلاص لما ذم المنافقين"⁽⁵⁾، وقد أخبر النبي ﷺ "أن العلم عند أهل الكتابين من قبلنا موجود بأيديهم ولا ينتفعون بشيء منه لما فقدوا المقصود منه، وهو وصوله إلى قلوبهم حتى يجدوا حلاوة الإيمان به ومنفعته بحصول الخشية والإنابة لقلوبهم. وإنما هو على ألسنتهم تقوم به الحجة عليهم. ولهذا المعنى وصف الله تعالى في كتابه العلماء بالخشية فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾"⁽⁶⁾.

وقد شبه سبحانه أحبار اليهود الذين لم يعملوا بما علموه في التوراة، كمثّل الحمار يحمل أسفاراً، قال تعالى: ﴿سُورَةُ الْفَاتِحَةِ الْبَقَّةُ الْعَمَلُ إِنَّ الشَّيْءَ الْمُنَادِيَةَ الْأَنْجَلُ الْأَنْجَلُ﴾

(1) الغزالي. إحياء علوم الدين. 26/3.

(2) انظر: السباعي. مصطفى (ت: 1964م) : هكذا علمتني الحياة. ط: 1. بيروت: دار الوراق. 1420هـ - 1999م. ص 15.

(3) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله (ت: 420هـ) : الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه. تحقيق: د. مروان قباني. ط: 1. بيروت: المكتب الإسلامي. 1406هـ.

- 1986م. ص (47).

(4) الخطيب البغدادي. اقتضاء العلم والعمل. 15-16.

(5) ابن القيم. الفوائد. 31/1.

(6) ابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن الحنبلي البغدادي الدمشقي (ت: 795هـ) : مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي. كمج. تحقيق: ناصر النجار. ط: 3.

مصر: مكتبة أولاد الشيخ للتراث. 1430هـ - 2009م. 287/1.

الْأَنْبِيَاءُ (يُؤْتِيهِمْ هُوًّا يُؤْتِيهِمُ الرِّعْدُ) إِبْرَاهِيمَ الْحَجَرِ الْخَلْقِ الْإِنْسَانِ الْكَهْفِ مُزَيَّجًا طَلَبَ الْأَنْبِيَاءِ

الْحَجَرِ ﴿١﴾ "فقاس من حمله سبحانه كتابه ليؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعو إليه ثم خالف ذلك ولم يحمله إلا على ظهر قلب، فقراءته بغير تدبر ولا تفهم ولا اتباع ولا تحكيم له وعمل بموجبه كحمار على ظهره زاملة أسفار لا يدري ما فيها وحظه منها حملها على ظهره ليس إلا، فحظه من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره، فهذا المثل وإن كان ضرب لليهود فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به ولم يؤد حقه ولم يرعه حق رعايته" (٢).

(١) (الجمعة : 5).

(٢) ابن القيم. أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: 751هـ): إعلام الموقعين عن رب العالمين. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. بلا طبعة. بيروت: دار الجيل.

1973م. 165/1.

المبحث السابع

الاهتمام بالوقت

قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾⁽¹⁾. أقسم سبحانه بالزمان وبين أن الإنسان لفي خسر "أي في خسران في متاجرهم ومسايعهم وصرف أعمارهم في مباغيهم التي لا ينفعون بها في الآخرة"⁽²⁾. لذلك "ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه وقدر وقته فلا يضيع منه لحظة من غير قربه"⁽³⁾ لأن "إضاعة الوقت أشد من الموت لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها"⁽⁴⁾.

ونبه الإسلام إلى أهمية الوقت. فقد "خص الله تعالى ثم النبي ﷺ الصلاة بالذكر من بين سائر التكاليف الكثيرة المؤقتة. لأنها تتكرر كل يوم خمس مرات ففي زمن يسير ينطبع سلوك فاعلها بخلق ضبط الوقت ودقة الوعد وأداء كل عمل في مقاته المخصص له على الوجه الأمثل، وقد رسم الشرع الحنيف: التوقيت في تكاليف غير الصلاة فوقت في أحكام الحج والزكاة والصوم وزكاة الفطر ... وقد غفل كثير من المسلمين اليوم عن هذا التوجيه الإسلامي الدقيق لهم من جانب الشرع الأغر، فجعلوا يأخذون ويتعلمون أهمية ربط الأعمال بالتوقيت المناسب من غيرهم"⁽⁵⁾.

قال الوزير (يحيى بن هُبيرة):⁽⁶⁾

"الوقت أنفس ما عُنيَتْ بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيع!".

وينبغي للإنسان "أن يعلم أن وقته أعز الأشياء عليه فيشغله بأعز الأشياء وهو ذكر الله والمداومة على طاعته ومطالبتة الإخلاص من نفسه، فإنه روي عن النبي ﷺ أنه قال: "من حسن

(1) (العصر : 1-2).

(2) (الأوسي. روح المعاني. 228/30).

(3) (ابن الجوزي. عبد الرحمن بن علي محمد (ت: 597 هـ) :صيد الخاطر. تحقيق: حامد أحمد الطاهر. ط:1. القاهرة: دار الفجر للتراث. 1424هـ-2003م. ص 24).

(4) (ابن القيم. الفوائد. 31/1).

(5) (أبو غدة. عبد الفتاح (ت: 1417هـ) : قيمة الزمن عند العلماء. ط:4. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية. 1407هـ - 1987م. ص 6).

(6) (يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيباني، أبو المظفر، عون الدين. من كبار الوزراء في الدولة العباسية. عالم بالفقه والأدب. له نظم جيد. ولد عام 499

وتوفي عام 560 هـ، وهو من شعراء العصر الفاطمي. الزركلي، خير الدين. الأعلام. ط:5. بيروت: دار العلم للملايين. 1980م. 175/8).

إسلام المرء تركه ما لا يعنيه⁽¹⁾ و"من ترك ما لا يعنيه اشتغل بما يعنيه"⁽²⁾.

وقد حث النبي عليه السلام على اغتنام الأوقات وعمارته بالطاعات فقال ﷺ في صيام شعبان: "ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم"⁽³⁾ وفي هذا دليل على استحباب عمارة أوقات غفلة الناس بالطاعة وأن ذلك محبوب إلى الله⁽⁴⁾.

ولكن يجب التنبيه على أن ليس المطلوب أن يملأ الإنسان وقته بالتعب والكد ولكن يجب ألا تكون أوقات الفراغ طاغية مملوءة بالكسل والتافه من الأمور. وقال ﷺ: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيم فعل وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أفناه وعن جسمه فيم أبلاه"⁽⁵⁾.

(1) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، 1315/2، رقم الحديث (3976)، قال الشيخ الألباني: صحيح.

(2) السلمي، عيوب النفس، 28/1.

(3) النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن (ت: 303 هـ): سنن النسائي (المجتبى)، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، ط: 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1411 هـ - 1991 م، حديث رقم (2357)، 201/4، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن (الموسوعة الحديثية 86/36)، قال الألباني: حسن.

(4) ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد (ت: 795 هـ): لطائف المعارف، بلا طبعة، بلا مكان نشر، بلا تاريخ، ص 75.

(5) الترمذي، سنن الترمذي، كتاب القيامة والرفائق والورع، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، رقم الحديث (2417)، 612/4، قال الترمذي: حسن صحيح، قال

الشيخ اللباني: صحيح.

الفصل الخامس

نماذج لأُمور حذّر القرآن الكريم من الغفلة عنها

المبحث الأول: الغفلة عن آيات الله في الكون والأنفس

المبحث الثاني: الغفلة عن آيات الله في القرآن الكريم

المبحث الثالث: الغفلة عن الجهاد في سبيل الله وإعداد العدة له

المبحث الرابع: الغفلة عن الموت والآخرة

المبحث الخامس: الغفلة عن مكر الله وعقابه

المبحث السادس: الغفلة عن العهد والميثاق

المبحث الأول

الغفلة عن آيات الله في الكون والأنفس

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ (1).

﴿سُرِّيَكُمْ عَنْهُمْ فَأَعْرِفُونَهَا﴾ آياته أي "في أنفسكم وفي السماء والأرض والرزق" (2). إن آيات الله سبحانه في خلق السماوات والأرض كثيرة، منها: "الهيئة التي خلق عليها الأرض. لقد جعلها قراراً للحياة، مستقرة مطمئنة صالحة يمكن أن توجد فيها الحياة وتتمو وتتكاثر ... والأنهار في الأرض هي شرايين الحياة وهي تنتشر فيها إلى الشرق وإلى الغرب، وإلى الشمال وإلى الجنوب. تحمل معها الخصب والحياة والنماء. والأنهار تتكون من تجمع مياه الأمطار وجريانها وفق طبيعة الأرض. والله الذي خلق هذا الكون قدّر في تصميمه إمكان تكون السحب ونزول المطر وجريان الأنهار ... والرواسي: الجبال. وهي ثابتة مستقرة على الأرض وهي في الغالب منابع الأنهار حيث تجري منها مياه الأمطار إلى الوديان وتنشق مجراها بسبب تدفقها من قمم الجبال العالية بعنف وقوة". (3).

ويقول الله تعالى: ﴿سُرِّيَهُمْ أَيَّتَنَّا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (4)، "﴿الْآفَاقِ﴾ آفاق السماء وأراد الآيات في الشمس والقمر والرياح وغير ذلك، ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ عبرة الإنسان بجسمه وحواسه وغريب خلقته". (5)

ولو أخذنا في تتبع آيات الله ونعمه في الكون والأنفس لطال الأمر.. فهذه الرياح تجري حاملة السحب والأمطار من مكان لآخر.. وهذا الليل والنهار.. وتعاقبهما.. وما فيهما من الآيات جديران بلفت الأنظار إلى بديع صنع الله سبحانه الذي جعل الليل لباساً والنهار معاشاً.

(1) (يونس: 7).

(2) الطبري. جامع البيان. 26/20.

(3) قطب، سيد. في ظلال القرآن. 2657/5.

(4) (فصلت: 53).

(5) ابن عطية. المحرر الوجيز. 23/5.

ثم لو نظرنا للكواكب والنجوم والمجرات هل سنصل إلى نهاية تعداد نعم الله؟ لا. ثم لو نظرنا إلى المخلوقات.. الإنسان، والحيوان، والنبات، لرأينا العجب العجاب.. لو أمعن الإنسان النظر في نفسه لعجز عن إدراك ماهية العجائب في خلقه.. هل ننظر للجسم.. أم للعقل.. أم للروح.. أي إعجاز وأي قدرة في الخلق !!!

ومن الجدير بالذكر أن آيات الله سبحانه في الآفاق أعظم من آياته في الأنفس، قال

تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ (1). (2)

فإذا كان هذا يبين قدرة الله سبحانه وتعالى على الخلق والإيجاد، فإن سير هذا الكون وفق نظام دقيق واستمرارية واضحة تامة، دليل على قدرته سبحانه على حفظ ورعاية ما خلق. قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ (3) "فإنه سبحانه يقوم أمر هذا الخلق وتديره ويمسك نظامه ويحفظ وجوده". (4)

كيف غفل الإنسان عن آيات الله في الأنفس والآفاق؟

غفل عنها عندما حرم نفسه التفكير في كل ما حوله، وأن هذا الكون مسخر لخدمته ليؤدي حق العبودية لله رب العالمين. غفل عنها حينما لم يؤد حق الحمد والشكر لله، والواجب أن يُحمد الله سبحانه على كل شيء، على الضياء والهواء، وعلى الأرض والسماء، على الشمس والقمر وعلى كل شيء، قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ وَأَبْنِيهِ فَنَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (5) ففي الآية "الندب إلى حمد الله تعالى على نعمه الظاهرة والباطنة، ولا سيما عند تجدد النعمة وعند ذكرها". (6) فنعم الله كثيرة والله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ (7). "صحة في بدن، أمن في وطن، غذاء وكساء وهواء وماء. لديك الدنيا وأنت لا تشعر، تملك الحياة وأنت لا تعلم، ﴿وَأَسْبَغَ

(1) (غافر: 57).

(2) انظر: البقاعي. نظم الدرر. 197/2.

(3) (المؤمنون: 17).

(4) الخطيب، عبد الكريم. التفسير القرآني للقرآن. 38/3.

(5) (النمل: 93).

(6) أبو بكر الجزائري. جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير. ط: 5. المدينة المنورة. مكتبة العلوم والحكم. 1424 هـ - 2003 م.

50/4.

(7) (إبراهيم: 34).

عَلَيْكُمْ نِعْمَةٌ ظَاهِرَةٌ وَبَاطِنَةٌ»⁽¹⁾، عندك عينان ولسان وشفتان ويدان ورجلان. ﴿فَإَيَّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾⁽²⁾، هل هي مسألة سهلة أن تمشي على قدميك وقد بترت أقدام؟! وأن تعتمد على ساقيك وقد قطعت سوق؟ ... تفكر في سمعك وقد عوفيت من الصمم وتأمل في نظرك وقد سلمت من العمى ... فكر في نفسك وأهلك وبيتك وعملك وعافيتك وأصدقائك والدنيا من حولك: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾⁽³⁾»⁽⁴⁾.

ومن هنا ندرك الحاجة إلى التفكير فيما حولنا، فالتفكير يوقظ الإنسان ويذهب عنه الغفلة، "إن التفكير هو مبدأ ارتقاء البشر وبقدر جودته يكون تفاضلهم فيه"⁽⁵⁾، لذلك قال الله سبحانه وتعالى: وتعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾^(٧) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾^(٨)»⁽⁶⁾.

أما ما يتعلق بالجانب النفسي للإنسان، فإن الإنسان إذا غفل عن حقائق التوحيد وسقط في هوة الشرك، فقد فتحت عليه أبواب العذاب النفسي، قال تعالى: ﴿فَلَا نَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾⁽⁷⁾، فإن الإيمان يملأ النفس شعوراً بالنجاح والفلاح والفوز برضاء الله سبحانه، فيكون دافعاً للعمل والنشاط والحركة.. فإن بذل الجهد في حد ذاته صحة وأية صحة، فإن صحة القلب في بذل الجهد وراحة النفس، وأن طبيعة العصر الحديث تقتضي الكسل العضلي والتوتر النفسي وهي السبب في أمراض القلب، وأن ضغط الدم في الحقيقة ما هو إلا ضغط الهم⁽⁸⁾.

فينبغي للإنسان أن يجتهد في طاعة الله سبحانه، وأن يسير وفق شرع الله سبحانه، وأن تأخذ العقيدة حيّزاً في الوجدان والنفس والواقع، فإن الأشياء "لا تقاس بوجودها أو عدم وجودها في

(1) (لقمان: 20).

(2) (الرحمن: 13).

(3) (النحل: 83).

(4) القرني. عائض بن عبد الله. حدائق ذات بهجة. ط: 2. بيروت: دار ابن حزم. 1420 هـ - 1999 م. 180-181.

(5) رضا، محمد رشيد. المنار. 247/11.

(6) (الروم: 7-8).

(7) (الشعراء: 213).

(8) انظر: النابلسي. نظرات في الإسلام. 329-333.

عالم الحس، وإنما تقاس بمقدار ما توجد في عالم النفس، وبالمساحة التي تشغلها من المشاعر والأفكار والسلوك".⁽¹⁾

ويضاف إلى غفلة الإنسان عن نفسه، غفلة بعضهم عن دوره الرئيس في المجتمع؛ كغفلته عن الأسرة، وواجب الأب والأم نحو بعضهما، وواجبهما نحو الأبناء. لأن الأسرة هي اللبنة الأساسية الأولى في بناء المجتمع، فإذا غفل الإنسان عنها، فقد أسهم في تحطيم البنية الأساسية لهذا المجتمع، وهي إيجاد نشء سليم صالح يتمتع بالقوة الجسدية والإيمانية القادرة على الحياة. "فمن الآباء من يتنازل عن أبوته راضياً وهو حي يرزق!! والأبوة لا يجوز التنازل عنها لما للآخرين من حقوق عليها. والآخرين هم أولاده وفلذات أكبادهم. ولم يتنازل الأب؟ لأنه إما مشغول بشهواته ونزواته وأهوائه، وإما مشغول بجمع الدنيا وكسب المال. فهو يعيش في دنيا الأرقام يجمع وي طرح ويضرب ويقسم تاركاً أولاده لأهمهم التي باتت أمماً وأباً، ومثل هذا الأب حي كميت وحاضر كغائب، بل ربما كان موته خيراً من حياته، فإن الناس يعطفون على اليتيم الذي مات أبوه ولا يعطفون على (المضيّع) الذي أغفله أبوه".⁽²⁾ والأسوأ من ذلك أن يكون الأبوان مشغولين عن الأولاد. فأب -كما أشرنا- وأم مشغولة بزيارتها وزياراتها وصديقاتها فهذا هو اليتيم الحقيقي الذي أشار إليه أحمد شوقي:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من همّ الحياة وخلفاه ذليلاً
فأفاد بالدنيا الحكمة منهما وبحسن تعليم الزمان بديلاً
إن اليتيم هو الذي تلقى له أمماً تخلت أو أباً مشغولاً.⁽³⁾

(1) قطب، محمد. قبسات من الرسول. ط:4. القاهرة: دار الشروق. 1422هـ-2001م. ص9.

(2) القرضاوي. يوسف. الأسرة كما يريد الإسلام. ط:1. القاهرة: مكتبة وهبة. 1426هـ - 2005م. (51-52).

(3) شوقي، أحمد (ت:1351هـ): الشوقيات. ج2. ط:1. بيروت: دار العودة. 1409هـ - 1988م. 183/1.

المبحث الثاني

الغفلة عن آيات الله في القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿فَذَكَاتُ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰٰ آعْقَابِكُمْ أَنْ نَبْعَثُكُمْ فِيهَا مِنْ مَّخْلُوقَاتٍ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ سَمِيعَاتٍ﴾ (١) ﴿تَهْجُرُونَ﴾ (٢٧) ﴿١٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَمِيرًا

إن آيات الله سبحانه المقروءة في كتابه الكريم من الأشياء التي يجب أن يوليها المؤمن اهتمامه، فيتعهد بها بالتلاوة والحفظ والتدبر والعمل بها.

لقد كانت هذه الآيات على عظمتها التي استحقت بها الإضافة إليه سبحانه، تكفي في الحث على الإيمان بمجرد سماعها، وهي أجلى الأشياء من أولياء الله سبحانه. لكن كان الكفار عند تلاوتها يرجعون القهقري إما حساً أو معنى ودلالة على أنه رجوع كبر وبطر. (٢) ومنهم من أدبر عنها واستكبر استكباراً وأعرض عن سماع الحق والإجابة عنه، كأن لم يسمعها كأن في أذنيه ثقلاً وصمماً. (٣) وصدق قول النبي ﷺ في كفار مكة ما قاله الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (٤). فقد أظهر كفار مكة العناد والعتو والكفر بآيات الله سبحانه، فشكا رسول الله ﷺ صنيعهم هذا إلى ربه عز وجل بطريق البث والشكوى "يا رب إن قومي الذين حكى عنهم ما حكى من الشنائع، اتخذوا هذا القرآن الجليل الشأن المشتمل على ما فيه صلاح معاشهم ومعادهم (مهجوراً): أي متروكاً، ولم يؤمنوا به، ولم يرفعوا إليه رأساً، ولم يتأثروا بوعيده ووعده". (٥)

وإذا كان المعاصرون للنبي عليه السلام قد عالجوا أنفسهم في الصد عن القرآن علاجاً كثيراً ويدل على ذلك صيغة الافتعال في (مهجوراً) لما يرون من حسن نظمه، ويذوقون من لذيذ معانيه، ورائق أساليبه، ولطيف عجائبه، وبديع غرائبه. (٦) فأبوا إلى أن يقولوا إنه سحر وشعر وأنه

(١) (المؤمنون: ٦٦-٦٧).

(٢) انظر: البقاعي. نظم الدرر. ٢١١/٥.

(٣) انظر: الطبري. جامع البيان. ٦٤/٢١، القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. ٥٧/١٤.

(٤) (الفرقان: ٣٠).

(٥) الآلوسي. روح المعاني. ١٣/١٩.

(٦) انظر: البقاعي. نظم الدرر. ٣١٣/٥.

أساطير الأولين، فإن أهل هذا الزمان قد ملئوا أنفسهم بالشواغل عن كتاب الله مما زاد غفلتهم وأعمى بصرهم وبصيرتهم.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين".⁽¹⁾

فهل أدرك المسلمون قيمة القرآن أم غفلوا عنها؟

"إن هذا القرآن ليس مجرد معلومات يتعامل معها ببرود فكري.. بل هو رسالة تحمل قضية ودويًا..

وإن من أكثر الأمور لفتًا للانتباه في هذا القرآن ما حكاه الله عن انفعال الأنبياء بالقرآن انفعالاً

وجدانياً وعاطفياً عميقاً، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۝﴾⁽²⁾ ... فانظر بالله

عليك كيف يبلغ اتصالهم بكلام الله مبلغ الخور إلى الأرض ودموعهم تذرف بكاءً وتأثراً".⁽³⁾

كثير من الناس يتساءل ويقول: ماذا أتدبر بالضبط في القرآن؟ والحقيقة أن في القرآن حقائق

وإشارات كثيرة تحتاج إلى التدبر، وثمة مفاتيح لفهم القرآن، أهمها:⁽⁴⁾

1. تدبر ما عرضه القرآن من حقائق العلم بالله سبحانه.
2. تدبر أخبار الأنبياء. فهي ليست رسائل للتسلية بل هي نماذج يريد القرآن أن يوصل من خلالها رسائل تضيمنية، مثل التفتن لعبادة الأنبياء، وطريقتهم في التعامل مع الله وتوباتهم واستغفاراتهم.
3. ومن أعظم وجوه الانتفاع بالقرآن، أن يضع الإنسان أمامه على طاولة التدبر كل الخطابات الفكرية المعاصرة عن النهضة والرقى والإصلاح.. ثم يتدبر قارئ القرآن أعمال الإيمان التي عرضها القرآن كمعيار للتقدم والرقى، فيستنتج مباشرة بأن مراد الله من عباده في القرآن ليس لغزاً.

(1) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: 175 هـ) : سنن أبي داود. 4 ج. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. بلا طبعة. دار الفكر. بلا تاريخ. كتاب

الصلاة. باب تحزيب القرآن. رقم الحديث (1398). 57/2. قال الألباني: في السلسلة الصحيحة: "الإسناد جيد. وله شاهد عن ابن عمر. السلسلة الصحيحة. رقم الحديث

(642). 141/2.

(2) (مريم: 58).

(3) السكران. إبراهيم بن عمر. الطريق إلى القرآن. ط: 1. الرياض: مركز الفكر المعاصر. 1433 هـ. ص 52.

(4) انظر: المرجع السابق. ص (55-58).

لقد كان لجهل الكثيرين بهذه الحقائق والإشارات أثر كبير في غفلتهم عن كتاب الله وعدم الانتفاع به كما ينبغي:

1. إن البشر لم يعرفوا الخالق عز وجل، ولو عرفوه ما خالفوا أوامره. لذلك قال سبحانه ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾^(١)، فهي دعوة إلى ضرورة معرفة أسماء الله وصفاته والدعاء بها، فإن ذلك يساعد على يقظة الإنسان وإزالة الغفلة عنه.
 2. أما بالنسبة لأخبار الأنبياء. فإن غفلة الكثيرين عن أسلوب القرآن في عرض قصص الأنبياء، يدفعهم للقول بتكرار القصص كقصة موسى عليه السلام. إن القرآن عندما يذكر القصة في سورة معينة فهو يذكر جانباً منها بما يتناسب مع المحور العام للسورة. إن هذه القصص من أعظم القصص والأخبار، فيها العظة والاعتبار، فيها هلاك من كفر وأعرض وغفل، وفيها سعادة من آمن واهتدى، ولم يكن النبي ﷺ وغيره يدركون هذه القصص ويعرفونها من قبل حتى جاء الوحي بها كاملة صادقة، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢﴾﴾.
 3. ولقد كان لجهل البعض بما يتضمنه القرآن من صلاح للإنسانية في الأولى والآخرة، الدور الكبير في القول بأن الحياة قد تطورت، ولا نجد كل شيء في القرآن. لقد غفل هؤلاء، لأن القرآن يحوي جميع القوانين والأنظمة التي يحتاجها البشر. أما المعايير والأنظمة البشرية فقد أثبتت فشلها في إسعاد الشعوب لأنها من صنع البشر. أما تشريعات القرآن فهي وحدها الكفيلة بتحقيق العدالة والخير لأنها من عند الله عز وجل، فالبشر قد يعلمون ما يصلح شؤونهم في الدنيا لكنهم يجهلون الآخرة. أما القرآن فهو الذي يشمل إصلاح الدنيا وسعادة الآخرة، لذلك قال سبحانه: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾﴾^(٣).
- لقد غفل الكثيرون عن القرآن. فترى البعض يبدأ في تلاوة السورة لا يدرك معناها ولا أهدافها ومقاصدها. ولئن سألته لم تقرأ (الفاتحة) أو (يس) أو (الكهف)؟ وماذا تعني هذه الآيات والسور؟، فلأسف لا تجد جواباً عند الكثير من أبناء المسلمين!!!

(1) (الأعراف: 179-180).

(2) (يوسف: 3).

(3) (الروم: 7).

إن تدبر سورة الفاتحة وحدها كفيل بفتح بصائر الكثيرين، فنحن نعرف أن الصلاة عمود الدين، وأن الفاتحة ركن في الصلاة، والفاتحة أم الكتاب. إن الفاتحة أعظم سورة في القرآن.. كم تاهت عن هذه السورة أمم من الخلق، نكررها عشرات المرات في اليوم، لماذا؟ لأنها منهج الحياة، فيها تمجيد للباري سبحانه، ثم تنتقل إلى جوهر إصلاح النفس، في العبادة والاستعانة، ثم الدعاء. لكن ما الدعاء الذي اختاره الله لنا؟ إنه الدعاء بالهداية.⁽¹⁾

كثير من الناس يغفل عن واجبه تجاه القرآن، لتستمر الأمة في ضعفها وعجزها عن النهوض. كيف لا وقد هجر أهم وأعظم مصدر للإمداد الإيماني؟ ومما يزيد الأمر صعوبة أن الكثيرين لا يعترفون بذلك، بل يعتبرون الاهتمام بالقرآن يعني الإكثار من قراءته بفهم أو بدون فهم، يعني تخريج أكبر قدر من حقاظ ألفاظه في أقل وقت ممكن. فازداد القرآن يُتَمَّ وأصبح حاضراً وغائباً، موجوداً ومهجوراً، صار حاضراً بلفظه على السنة القراء والحقاظ، غائباً بروحه وأنواره عن القلوب وأثره الإيجابي في السلوك.⁽²⁾

كم من متعلم حامل للشهادات، قد أعرض عن ذكر ربه وعن القرآن، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾⁽³⁾، وكم فاقد للسمع وبعض الحواس والقدرة على القراءة يمسك بالقرآن ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۖ قَوْلٌ لِّلْفَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾⁽⁴⁾، هل يليق بنا أن نتصفح عشرات التعليقات والأخبار والإيميلات والكتب والحوارات الفكرية ونغفل عن كلام الله؟!

(1) انظر: السكران. الطريق إلى القرآن. 61-69.

(2) انظر: الهلالي. مجدي. تحقيق الوصال بين القلب والقرآن. ط:1. القاهرة: مؤسسة اقرأ. 1429 هـ - 2008 م. ص (18-19).

(3) (طه: 124).

(4) (الزمر: 22).

المبحث الثالث

الغفلة عن الجهاد في سبيل الله وإعداد العدة له

قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْفُخَ طَافِكُهُ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلِتَأْتِ طَافِكُهُ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾ (1).

تتحدث الآية الكريمة عن صلاة الخوف وكيفية تبين أهمية أداء الصلاة في الأحوال كلها، وأنها لا تسقط عن المسلمين بأي حال حتى لو كانوا في ساحة المعركة. فالصلاة لتحقيق معنى لا إله إلا الله في النفس، والجهاد لتحقيق لا إله إلا الله في النفس والأرض. وتبين الآية الكريمة ضرورة أخذ الحذر وقت صلاة الخوف. وأن أعداء الله يترصدون بالمؤمنين ويتمنون غفلتهم عن أسلحتهم، ولقد كان التعبير القرآني في غاية الدقة إذ عبّر بمكنون نفوس أعداء الإسلام تجاه المجاهدين، حيث قال سبحانه: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ﴾، والودّ الحب، وهو من الأمانة. قال تعالى: ﴿يُودُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (2)، أي يتمنى. (3).

"ودّوا ودّاً مستقرباً عندهم لظنهم أن اشتغال المسلمين بأمور دينهم يباعد بينهم وبين مصالح دنياهم، جهلاً من المشركين لحقيقة الدين، فطمعوا أن تلهيهم الصلاة عن الاستعداد لأعدائهم، فنبه الله المؤمنين إلى ذلك كيلا يكونوا عند ظن المشركين". (4)

فالآية الكريمة تنهى المؤمنين عن الغفلة عن السلاح، وبالمقابل تأمر آية أخرى المؤمنين بضرورة إعداد العدة للجهاد في سبيل الله، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ

(1) (النساء: 102).

(2) (البقرة: 96).

(3) انظر: ابن منظور. لسان العرب. 453/3.

(4) ابن عاشور. التحرير والتنوير. 187/5.

رَبَّاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ

شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾⁽¹⁾. أمر الله سبحانه المؤمنين بإعداد العدة

وكل ما يتقوى به في الحرب كائناً ما كان، ونُبِّهت الآية على ضرورة الاستعداد التام للمعركة، وأن النصر بلا استعداد لا يتأتى في أي زمان.⁽²⁾ وأن الله سبحانه لو شاء لهزم الأعداء "بالكلام والتقل في وجوههم وبحفنة من تراب كما فعل رسول الله ﷺ، ولكنه أراد أن يبتلي بعض الناس ببعض بعلمه السابق وقضائه النافذ".⁽³⁾

من هنا ندرك أن الله سبحانه فرض الجهاد على كل مسلم "قريضة لازمة حازمة لا مناص منها ولا مفر كذلك، ورغب فيه أعظم الترغيب، وأجزل ثواب المجاهدين والشهداء ... ومنحهم من الامتيازات الروحية والعملية في الدنيا والآخرة ما لم يمنح سواهم، وجعل دماءهم الطاهرة الزكية عربون النصر في الدنيا وعنوان الفوز والفلاح في العقبى ... واعتبر القعود والفرار كبيرة من أعظم الكبائر وإحدى الموبقات المهلكات".⁽⁴⁾

والحقيقة أن الهدف من الجهاد في الإسلام هو إعلاء كلمة الله سبحانه في الأرض، وتحقيق العبودية لله رب العالمين. لذلك نجد أن الإسلام أبطل حروب العصبية الدينية وحروب التخريب والدمار والتنافس بين الأمم، لأن الإسلام "دين إحسان، ولكنه إحسان لا يناقض العدل، ولا يشجع الإجرام، ولا يدع الحق مكبل اليدين إذا أراد الباطل أن يفتك به".⁽⁵⁾

لقد بين الله سبحانه أن إعداد العدة لهدف ﴿تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، أي تخيفون عدو الله وعدوكم من اليهود وقريش وكفار العرب وفارس والروم والجن وكل من لا تعرف عداوته.⁽⁶⁾ ومن الملاحظ أن هذه الرهبة والمخافة إن حصلت من جانب العدو تكون داعية إلى الإسلام أو الاستسلام أو كفّ أيدي الأعداء عن ديار المسلمين، لقد غفل كثير من المسلمين عن هذه التوجيهات القرآنية السامية، فأصبحت أهدافهم تكديس أسلحة وحشد جنود لحماية حدود، بينما

(1) (الأنفال: 60).

(2) انظر: الألويسي. روح المعاني. 24/10.

(3) القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. 35/8.

(4) العلي. إبراهيم محمد. هل سينتصر الإسلام. بلا طبعة. الأردن: دار العلوم. بلا تاريخ. ص (164).

(5) دراز. محمد عبد الله. حصاد قلم. تحقيق: أحمد مصطفى فضلية. ط: 2. القاهرة: دار القلم. 1426 هـ - 2008 م. ص (333).

(6) انظر: القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. 38/8.

وُجِهت سهام العدو إلى كل نفس مؤمنة، وُجِهت إمدادات العون والحماية لكل نفس شريرة منافقة
ماكرة من أبناء المسلمين. لقد تفرقت كلمة الأمة واتحدت كلمة أعداء الله وما "عجبت لشيء عجبني
من يقظة أهل الباطل واجتماعهم عليه، وغفلة أهل الحق وتشتت أهواءهم فيه".⁽¹⁾

والنتيجة المتوقعة ضعف الأمة وإصابتها بالوهن، ونزع المهابة من نفوس أعدائها، وتشرب
النفوس هيبة العدو ومخافته، فتداعت عليها الأمم لأنها جهلت حقيقة هذا الدين وغفلت عن القيام
بواجبه والدفاع عنه بكل ما أوتيت من قوة. عن ثوبان قال: "قال ﷺ: يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ
كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا. فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةِ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ، قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ
غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ.
فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ، قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ".⁽²⁾ فهذا تحذير للناس من
"العامل على تكالب الأمم وهجومهم علينا ألا وهو (حب الدنيا وكرهية الموت)، فإن هذا الحب
والكرهية هو الذي يستلزم الرضا بالذل والاستكانة إليه والرغبة عن الجهاد في سبيل الله".⁽³⁾ لقد كان
لكراهية الموت دورٌ بارزٌ في حياة الأمة وركونها إلى الدنيا رغم قول الله سبحانه ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ

قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾.⁽⁴⁾

ومن الجدير بالذكر ضرورة لفت أنظار أبناء المسلمين إلى لطيفة رائعة ذكرتها سورة البروج
وقصة أصحاب الأخدود، فهذه جماعة أثرت الإيمان والموت على الحياة والكفر، وانتصرت انتصاراً
يشرف الجنس البشري في جميع الأعصار "إن الناس جميعاً يموتون، وتختلف الأسباب ولكن
الناس جميعاً لا ينتصرون هذا الانتصار، ولا يرتفعون هذا الارتفاع، ولا يتحررون هذا التحرر، ولا
ينطلقون هذا الانطلاق إلى هذه الآفاق، إنما هو اختيار الله وتكريمه لفئة كريمة من عباده، لتشارك
الناس في الموت وتنفرد دون الناس في المجد، المجد في الملام الأعلی وفي دنيا الناس أيضاً، إذا
نحن وضعنا في الحساب نظرة الأجيال بعد الأجيال. لقد كان في استطاعة المؤمنين أن ينجوا
بحياتهم في مقابل الهزيمة لإيمانهم، ولكن كم كانوا يخسرون هم أنفسهم؟ وكم كانت البشرية كلها

(1) السباعي. هكذا علمتني الحياة. ص (23).

(2) أبو داود. سنن أبي داود. كتاب الملاحم. باب تداعي الأمم على الإسلام، رقم الحديث (4297). 111/4. قال الألباني: صحيح.

(3) طالب. نور الدين. مقالات الألباني. ط: 2. السعودية. 1422هـ - 2001م. ص (161).

(4) (آل عمران: 169).

تخسر؟ كم كانوا يخسرون وهم يقتلون هذا المعنى الكبير، معنى زهادة الحياة بلا عقيدة وبشاعتها بلا حرية، وانحطاطها حين يسيطر الطغاة على الأرواح بعد سيطرتهم على الأجساد؟⁽¹⁾

وينبغي أن يدرك أبناء المسلمين "أن المعركة بين المؤمنين وخصومهم هي في صميمها معركة عقيدة وليست شيئاً آخر على الإطلاق، وأن خصومهم لا ينقمون منهم إلا الإيمان، ولا يسخطون منهم إلا العقيدة. إنها ليست معركة سياسية ولا معركة اقتصادية ولا معركة عنصرية. ولو كانت شيئاً من هذا لسهل وقفها وسهل حلّ إشكالها. ولكنها في صميمها معركة عقيدة - إما كفر وإما إيمان. إما جاهلية وإما إسلام!".⁽²⁾ قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾⁽³⁾.

(1) قطب، سيد (ت: 1385هـ): معالم في الطريق، ط: 2، فلسطين، 2006م، ص (181).

(2) المرجع السابق، ص (191).

(3) (البروج: 8).

المبحث الرابع

الغفلة عن الموت والآخرة

رحلة الإنسان تبدأ بالميلاد، وتمر بالموت، وتنتهي بالبعث والحساب. وبين الله سبحانه أن هذه الرحلة تسير تحت رقابة الله التي لا تفتر ولا تغفل.

لقد خلق الله سبحانه الإنسان وهو أعلم بما توسوس به نفسه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّسُ بِهِ نَفْسُهُ^ط وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ^(١)﴾. فيجد الإنسان نفسه مكشوفة لا يحجبها ستر، وكل ما فيها من وساوس خافتة وخافية معلوم لله، تمهيداً ليوم الحساب الذي ينكره ويجحده. ثم تحكم رقابة الله سبحانه وتعالى على العباد بملكين يسجلان كل كلمة وكل حركة فور وقوعها، قال تعالى: ﴿إِذْ يُلْقَى الْمُتَلَقَّانِ عَنِ الْعَمِينَ وَعَنِ الْمَلِكِ^ط فَعِيدُ^(٢) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ^(٣)﴾ هذه الحقيقة وحدها لو استحضرها القلب لكانت كافية ليعيش الإنسان في حذر دائم وخشية دائمة ويقظة لا تغفل عن المحاسبة.^(٤)

والموت من الأمور التي لا يفكر فيه الكثير من الناس، بل يؤجلون أمره إلى وقت وقوعه، ليبعدوا عن أنفسهم همّ العمل لذلك اليوم. وقد يغفل الكثيرون عما في الموت من شدة، فسبحان الله، نشيع كل يوم جنازة، وندفن أمواتاً من حولنا ونعيش في غفلة عما لاقوا ويلاقوا، وكأنهم قد عانوا أمراً سهلاً أو أنهم سيقبلون على ما هو أسهل، كلا إن للموت سكرات، قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ^ط ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ^(٥)﴾، وسكرة الموت "حالته عند النزاع وشدته وغمرته، يصير المريض بها كالسكران لا يعي، وتخرج أقواله وأفعاله عن قانون الاعتدال"^(٦)، وقيل هو "اختلاط العقل لشدة الموت"^(٦).

(1) (ق : 16).

(2) (ق : 17-18).

(3) انظر : قطب، سيد. في ظلال القرآن. 3362-3363.

(4) (ق : 19).

(5) الشربيني، الخطيب محمد بن أحمد (ت: 977 هـ) : السراج المنير. 4 ج. بلا طبعة. بيروت : دار الكتب العلمية. بلا تاريخ. 52/4.

(6) ابن الهائم المصري. شهاب الدين أحمد بن محمد (ت: 815 هـ) : التبيين في تفسير غريب القرآن. ط: 1. القاهرة: دار الصحابة للتراث. 1992م. 388/1.

ولقد عانى رسول الله ﷺ سكرات الموت، وذلك في الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها حيث كانت تقول "إن رسول الله ﷺ كان بين يديه ركوة أو غلبة فيها ماء يشكُّ عمرُ فجعل يُدْخِلُ يَدَهُ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهَا وَجْهَهُ وَيَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ".⁽¹⁾

فإذا كانت هذه حال النبي ﷺ وهو أفضل الخلق وأشرفهم، فكيف بالساهي والغافل عن ذكر ربه، بل كيف بالكافر والمنكر للحق!.

ثم بعد الموت يأتي البعث والنشور. وهذه القضية من القضايا التي أولاها القرآن أهمية بالغة. لقد كان البعث من الأمور التي استبعدتها الكافرون وغفل عنها الكثيرون، والقرآن يوضح غفلة البشر عن هذا الأمر الخطير في مواضع عدة، منها:

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾⁽²⁾. "والحسرة: أشد الندم والتلف على الشيء الذي فات ولا يمكن تداركه، والإنذار: الإعلام المقترن بتهديد. أي أنذر الناس يوم القيامة. وقيل له يوم الحسرة لشدة ندم الكفار فيه على التفريط، وقد يندم فيه المؤمنون على ما كان منهم من التقصير".⁽³⁾

وتكمن الحسرة في ذلك اليوم عندما يدرك الإنسان أن لا موت، فلقد كان يفر من الموت في الدنيا ولا يخطر بباله، فما هو يوم القيامة يتمنى الموت ولكن لا موت. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "قال رسول الله ﷺ يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون، فيقول هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت وكلهم قد رآه. ثم ينادي يا أهل النار فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت وكلهم قد رآه، فيذبح. ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾⁽⁴⁾.

(1) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الرقاق. باب سكرات الموت. رقم الحديث (6145). 2387/5.

(2) (مریم: 39).

(3) الشنقيطي. أضواء البيان. 422/3.

(4) البخاري. صحيح البخاري. كتاب التفسير. باب وأنذرهم يوم الحسرة. رقم الحديث (4453). 1760/4.

ثانياً : قوله تعالى: ﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن

رَبِّهِمْ يُحَدِّثُ إِلَّا أَسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (٢). "قرر إعراضهم عن تنبيه المنبه، وإيقاظ الموقظ، بأن الله يجدد لهم الذكر وقتاً فوقتاً ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليكرر على أسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون. فما يزيدهم استماع الآي والصور وما فيها من فنون المواعظ والبصائر التي هي أحق الحق وأجد الجد إلا لعباً وتلهياً واستخساراً... ﴿لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ﴾ ... يعني أنهم وإن فطنوا فهم في قلة جدوى فطنتهم كأنهم لم يفطنوا أصلاً، وثبتوا على رأس غفلتهم وذهولهم عن التأمل والتبصر بقلوبهم". (2)

ولقد وقف الإمام الرازي مع الاقتراب في قوله تعالى ﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ وقفات منها: (3)

(1) أن هذا الاقتراب يعني القرب الزمني، أي اقترب للناس وقت حسابهم، لأن القرب المكاني ممتنع.

(2) أن هذا الإخبار في الماضي فكيف يقال اقترب؟ والجواب من ثلاثة أوجه، أحدها: أنه

مقترب عند الله والدليل قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (4).

ثانيهما: أن كل آت قريب وإن طالأت أوقاته وإنما البعيد هو الذي انقضى.

ثالثهما: أن المعاملة إذا كانت مؤجلة إلى سنة ثم انقضى شهر، فإنه لا يقال اقترب الأجل، أما إذا كان الماضي أكثر من الباقي فإنه يقال: اقترب الأجل. فعلى هذا الوجه قال العلماء: إن فيه دلالة على قرب القيامة ولهذا الوجه قال عليه السلام: "بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ، وَيُسِيرُ بِإِصْبَعِيهِ فَيَمْدُهُمَا" (5).

(3) إنما ذكر تعالى هذا الاقتراب لما فيه من المصلحة للمكلفين فيكون أقرب إلى تلافي الذنوب والتحرز عنها خوفاً من ذلك.

(1) (الأنبياء: 2-1).

(2) الزمخشري. الكشاف. 102/3.

(3) انظر: الرازي. التفسير الكبير. 120/22.

(4) (الحج: 47).

(5) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الرقاق. باب قول النبي بعثت أنا والساعة كهاتين. رقم الحديث (6138). 2385/5.

4) إنما لم يعين الوقت لأجل أن كتماننا أصلح، كما أن كتمان وقت الموت أصلح.

5) الفائدة في تسمية يوم القيامة بيوم الحساب أن الحساب هو الكاشف عن حال المرء،
فالخوف من ذكره أعظم.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْوِلُنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾⁽¹⁾.

عند البعث وعندما يعاين البشر حقيقة الآخرة يقولون "﴿يُنْوِلُنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾" يعني في الدنيا حيث كذبناه وقلنا إنه غير كائن بل كنا ظالمين أنفسنا بتلك الغفلة وبتكذيب محمد ﷺ وعبادة الأوثان"⁽²⁾، وقيل "قد كنا في غفلة من هذا أي من هذا الذي دهمنا من البعث والحساب بل كنا ظالمين، أضربوا عن وصف أنفسهم بالغفلة: أي لم تكن غافلين، بل كنا ظالمين لأنفسنا بالتكذيب وعدم الانقياد للرسول"⁽³⁾.

أما كيف يكون حال هؤلاء الذين كذبوا والذين غفلوا؟ فقد بين الله سبحانه ذلك، حيث قال: ﴿فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ والشخص بالعين إحداث النظر دون أن يطرف، وذلك يعتري من الخوف المفرط أو علة أو نحوه"⁽⁴⁾. لقد شخصت أبصار الذين كفروا لأنه يكشف الغطاء في ذلك اليوم، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾⁽⁵⁾.

هذا هو الموقف الذي غفل عنه البشر ولم يحسبوا حسابه ولم يعملوا له كما ينبغي، وتبين الآيات من سورة (ق) أن البشر غفلوا حيث لم يعتبروا بهلاك الأمم الغابرة مع أن بها ذكرى كما قال سبحانه ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْإِلْدِ هَلْ مِن مَّحِصٍ﴾^(٣٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ^(٣٧)﴾⁽⁶⁾، كما وتبين

(1) (الأنبياء: 97).

(2) الرازي. التفسير الكبير. 193-192/22.

(3) الشوكاني. فتح القدير. 427/3.

(4) ابن عطية. المحرر الوجيز. 100/4.

(5) (ق: 22).

(6) (ق: 36-37).

الآيات أن هذا اليوم ليس ببعيد حيث بين القرآن قرب ذلك اليوم ويدعو البشر إلى الانتباه والاستماع لصيحته، حيث قال سبحانه: ﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ نَشَقُّ الْأَرْضَ عَنْهُمْ سِرَاعًا ﴿٤٤﴾ ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٥﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾⁽¹⁾، وفي الحديث قال عليه السلام: "كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدْ نَقَمَ الْقَرْنَ وَاسْتَمَعَ الْإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ، فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا"⁽²⁾.

(1) (ق: 41-45).

(2) الترمذي، سنن الترمذي. كتاب صفة القيامة والرقائق والورع. باب ما جاء في شأن الصور. رقم الحديث (2431). 620/4. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، وقال

الشيخ الألباني: صحيح.

المبحث الخامس

الغفلة عن مكر الله وعقابه

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾⁽¹⁾. تتحدث الآيات من سورة إبراهيم عن أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، فقد كان (أمة) قانتا لله حنيفاً شاكراً لنعم الله ولم يكن من المشركين، رسّخ عقيدة التوحيد في نفوس أتباعه، ونبذ ما كان يعبد قومه من الأصنام، وحاجّه قومه وحاجّهم وغلبهم في الحجة، وبيّن سفاهة عقولهم وجهلهم في عبادة الأصنام، فأبوا إلا أن يحرقوه في النار، فكانت النار بإذن الله برداً وسلاماً عليه. وانطلق بعدها ليبيّن صرح التوحيد في الأرض، فأسكن ذريته بوادٍ غير ذي زرع، وبنى الكعبة، ودعا الله سبحانه وأذن في الناس بالحج، وحمد الله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، حمده على الإيمان، وعلى الذرية الصالحة، وطلب منه أن يجعله مقيم الصلاة وذريته، وأن يتقبل دعاءه ويغفر له يوم الدين.

ثم تبين الآيات أن الله سبحانه ليس بغافل عن الظالمين. وأهمهم أولئك الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك، بل هي سنة الله سبحانه في إمهال العصاة. لذلك قال سبحانه: ﴿لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي آلِ الْبَيْتِ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾⁽²⁾.

إن الكثيرين لا يعتبرون بالابتلاء والامتحان، ويعتبرون الابتلاء مجرد أحداث تدور، يوم لك ويوم عليك، ولكن لو تفكروا فيما حولهم لأدركوا أموراً كثيرة "فشأَن الجاحدين شأن أمثالهم السابقين، جاءتهم أنبياءهم فجحدوا وتمردوا، وامتنحهم الله بالضيق ثم باليسر، فغفلوا عن مغزى هذا الامتحان، وظنّوا أن ما وقع عليهم هو عادات الدهر التي تتراوح بين الشدة والفرج، في حين أنهم لو آمنوا بالله واتقوه بصالح العمل لفتح الله عليهم بركات السماء والأرض، ولكنهم لم يراعوا وقست قلوبهم فحلّ نكال الله بهم. وإنه لأجدر بالسامعين الجاحدين أن يتعظوا بأنباء من سبقهم وأحداثهم، ويذكروا أن الله قادر على أن يصيبهم بذنوبهم، وأن لا يطمئنوا إلى ما هم فيه ويظنّوا أنهم في أمن، ويغفلوا عن بأس الله ونقمته، فإن المطمئن الغافل هو الخاسر حتماً. ولقد بدا أنهم ساروا في طريق أمثالهم ولم

(1) (إبراهيم: 42).

(2) (آل عمران: 196-197).

يتعظوا، وكذبوا نبيهم ولم يف أكثرهم بعهد الله وتمردوا عليه، وقست قلوبهم وانسدت آذانهم وكانوا فاسقين". (1)

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ وَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ (2)

تبين هذه الآيات ضرورة يقظة الإنسان وعدم غفلته عن سنن الله في هذا الكون، فإن العبد ليستدرج ويؤخذ من حيث لا يحتسب ولا يشعر. لذلك لا ينبغي أن يأمن الإنسان من عذاب الله أن يأخذه بغتة في وقت الغفلة والانشغال بما لا فائدة منه. "وتقيد التعجب من أمنهم مجيء البأس، بوقتي البيات والضحي، من بين سائر الأوقات، وبحالي النوم واللعب، من بين سائر الأحوال، لأن الوقتين أجدر بأن يحذر حلول العذاب فيهما، لأنهما وقتان للدعة، فالبيات للنوم بعد الفراغ من الشغل، والضحي للعب قبل استقبال الشغل، فكان شأن أولي النهي المعرضين عن دعوة رسل الله أن لا يأمنوا عذابه خاصة في هذين الوقتين والحالين. وفي هذا التعجب تعريض بالمشركين المكذبين للنبي ﷺ أن يحل بهم ما حل بالأمم الماضية، فكان ذكر وقت البيات ووقت اللعب أشد مناسبة بالمعنى التعريضي تهديداً لهم بأن يصيبهم العذاب بأفطع أحواله، إذ يكون حلوله بهم في ساعة دعته وساعة لهوهم نكاية بهم". (3)

فهل يا ترى أمن هؤلاء الجاحدين مكر الله؟! لذلك قال سبحانه ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ ، والمكر حقيقته: "فعل يقصد به ضرر أحد في هيئة تخفى أو هيئة يحسبها منفعة". (4) ومكر الله كما يرى القرطبي "عذابه وجزاؤه على مكرهم. وقيل: مكره استدراجه بالنعمة والصحة". (5)

(1) دروزة. محمد عزت. التفسير الحديث. بلا طبعة. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية. 1383هـ. 431/2.

(2) (الأعراف: 96-99).

(3) ابن عاشور. التحرير والتنوير. 23/9.

(4) المرجع السابق. 24/9.

(5) القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. 254/7.

فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون الهالكون "قال تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ
الْخَاسِرُونَ﴾ أي الذين خسروا أنفسهم وأضاعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها والاستعداد القريب
المستفاد من النظر في الآيات".⁽¹⁾

(1) أبو السعود. إرشاد العقل السليم. 254/3.

المبحث السادس

الغفلة عن العهد والميثاق

يتضمن هذا المبحث غفلة الإنسان عن العهد والميثاق، ومن أهم الأمثلة التي عرضها القرآن في الغفلة عن أوامر الله سبحانه ومعصيته ونقض العهد والميثاق هم "بنو إسرائيل"، فقد كان منهم الكفر والإعراض والتحايل على الشريعة، بما استغرق الجزء الأكبر من أطول سور القرآن وهي سورة "البقرة" فقد عرضت السورة نماذج لإعراضهم وكفرهم بالله سبحانه، فقد فضلهم الله سبحانه على العالمين، وأسبغ عليهم نعمه الكثيرة ومعجزاته وآياته الواضحة، فكان منهم خيانة للعهد والميثاق الذي يؤخذ عليهم في كل مرة بضرورة الإيمان بالله سبحانه. وتمثلت غفلة بني إسرائيل عن العهد والميثاق في عدة أمور أهمها:

أولاً: المعصية والكفر بآيات الله:

فلقد نجاهم الله سبحانه من فرعون، فما كان منهم إلا أن اتخذوا العجل إلهاً، ثم أتى الله سبحانه موسى الكتاب والفرقان لعلهم يهتدون، فما كان منهم إلا أن طلبوا من موسى أن يروا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة، ثم استسقى موسى لقومه فسقي باثنتي عشرة عيناً، وأنزل الله عليهم المن والسلوى، فما كان منهم إلا أن تمردوا على الطعام وطلبوا الذي هو أدنى من الثوم والعدس والبصل بدل المن والسلوى، فضرب الله عليهم الذلة والمسكنة والغضب بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق ومعصيتهم واعتدائهم، خاصة اعتداءهم في السبت وكيفية تحايلهم على أوامر الله سبحانه، فمسخهم الله قردة وخنازير، ثم قصة البقرة، والقتيل الذي قتل منهم ولم يعرفوا قاتله كيف طلب الله منهم ذبح بقرة، وأن يضربوه ببعضها وأحيا الله ذلك القتل واعترف بقاتله ... فهذه الآيات والمعجزات شاهداً بنو إسرائيل عياناً وكانت كفيلة بإيمانهم ووفائهم لعهد الله معهم، ولكن قست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة، فناسب تنكيرهم أن الله بصير بهم رقيب عليهم ليس بغافل عن أعمالهم وأفعالهم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارِ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارِ لَمَ يَنْفَجْرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّ مِنْهُ الْآبَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ (١).

(١) (البقرة: ٧٤).

ثانياً: نقض العهد والميثاق بتبديل كلام الله وتحريفه:

فلقد تمثل عتو بني إسرائيل بتبديل كلام الله سبحانه، فلقد أمرهم الله بدخول بيت المقدس سجداً والدعاء يا الله (حطة) أي حط عنا الذنوب والخطايا واغفر لنا. فدخلوه زحفاً وبدلوا قول الله (بحنطة) فأُنزل الله عليهم رجزاً من السماء بسبب فسقهم. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَزَيْدُ الْمُحْسِنِينَ ٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ يَمَا كَانُوا يُفْسِقُونَ ﴿٥٩﴾ (1).

ثم اتخذوا من قول المسلمين للنبي ﷺ (راعنا) وجعلوها كلمة سخرية واستهزاء، ذلك أن المسلمين كانوا يقولون لرسول الله ﷺ إذا ألقى عليهم شيئاً من العلم: راعنا يا رسول الله، أي راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهمه ونحفظه، وكان لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية أو سريانية وهي (راعينا) فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترضوه وخاطبوا به الرسول ﷺ وهم يعنون به تلك المسبة، فنهى المؤمنون عنها وأمروا بما هو في معناها وهو (انظروا) من نظره إذا انتظره (2).

ثم يأتي دور تحريف كلام الله سبحانه بتغيير كلام الله لهم في التوراة، أي يكتبون الكتاب بأيديهم يحلون ويحرمون بأهوائهم ويقولون إن ذلك من عند الله سبحانه، لكن الدافع لهذا التحريف كما قال سبحانه: ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (3) فيحققوا مطامع ومصالح يصبون إليها. ومن هذا التحريف أن الله سبحانه أخذ عليهم الميثاق ألا يعبدوا إلا الله، ويحسنوا للوالدين ولذي القربى واليتامى والمساكين وللناس جميعاً، وقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، وألا يسفكوا دماءهم ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِلَافَةِ وَالْعَدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَفْتَدُوهُمْ وَهُمْ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ

(1) (البقرة: 58-59).

(2) (الزمخشري. الكشاف. 200/1).

(3) (البقرة: 79).

الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۖ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ (١)

ثالثاً: الكيد والتآمر على الأنبياء السابقين:

بينت الآيات السابقة من سورة البقرة أن الله سبحانه ليس بغافل عن أعمال اليهود ومكائدهم، وتبين الآيات التالية أنه سبحانه ليس بغافل عن أقوالهم وخبث سرائرهم واعتقاداتهم، فهي هم يدعون أن أنبياء الله سبحانه "إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب" كانوا هوداً أو نصارى، قال تعالى: ﴿أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۚ قُلْ أَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ (٢)، وتبين الآيات والتاريخ كذبهم وافتراءهم هذا، فأبراهيم عليه السلام عندما قام ولده إسماعيل ببناء الكعبة، دعا ربه أن يجعله وذريته مسلمين، وأن يريهم مناسكهم ويتوب عليهم، ويبعث فيهم رسلاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم، ووصى إبراهيم ويعقوب أبناءهم بهذه الوصية ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٣).

رابعاً: التكذيب بالنبي محمد ﷺ والتشكيك في تشريعات الإسلام:

إن اليهود يعرفون أن محمداً ﷺ نبي الله، وأن القرآن هو الوحي الذي كان ينزل على موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٤)، "والدليل على أن أهل الكتاب يعرفون الحق: أنهم يعرفون النبي ﷺ بما بشرت به كتبهم، وذكرته من صفات لا تنطبق على غيره، فهم يعرفون النبي ﷺ كمعرفتهم التامة بأبنائهم، وإن فريقاً منهم عاندوا وكتموا الحق الواضح الذي يعلمونه من كتبهم، وهو نبوة محمد ﷺ وأن الكعبة قبله له، والحق ما كان من عند الله وحده لا من غيره" (٥).

(١) (البقرة: ٨٤-٨٥).

(٢) (البقرة: ١٤٠).

(٣) (البقرة: ١٣٢).

(٤) (البقرة: ١٤٦).

(٥) (الزحيلي، وهبة. التفسير الوسيط. ٣ ج. ط: ١. دمشق: دار الفكر. ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م. ٦٨/١).

فلقد كان أهل الكتاب يستفتحون قبل ذلك على الذين كفروا "أي يستتصرون على المشركين إذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان"⁽¹⁾. ولما جاءهم النبي محمد ﷺ كفروا به وبما أنزل عليه حسداً وحرصاً على السيادة. أما بالنسبة لموقفهم من تشريعات الإسلام، فيتجلى ذلك في موقفهم من القبلة، حيث إن مسألة القبلة وتحويلها عن الكعبة إلى المسجد الأقصى ثم إلى الكعبة مرة أخرى، كانت لحكم عظيمة لا يدركها الكثيرون، لقد استدعى هذا الأمر أن ينفي الله سبحانه وتعالى الغفلة عن نفسه في موضعين متقاربين في سورة البقرة⁽²⁾ وأمر القبلة خص من بين أفعال اليهود كلها لأهميته، وذلك لربط قلوب المسلمين بحقيقة الإسلام. حقيقة أن هذا البيت بناه إبراهيم وإسماعيل ليكون خالصاً لله وليكون تراثاً للأمة المسلمة التي نشأت تلبية لدعوة إبراهيم أن يبعث الله في بنيه رسولاً منهم بالإسلام. ثم بيان أهمية الاختصاص والتميز للجماعة المسلمة وذلك بوراثة الدين ووراثة القبلة ووراثة الفضل من الله جميعاً⁽³⁾.

(1) الزمخشري. الكشاف. 190/1.

(2) آية 144، 149.

(3) انظر: قطب، سيد. في ظلال القرآن. 127/1.

الخاتمة

في ختام هذه الرسالة، وبعد البحث والتتقيب في موضوع الغفلة، أود تلخيص أهم النتائج التي تم التوصل إليها:

1. الغفلة تدل على ترك الشيء سهواً بسبب قلة التحفظ والنتيظ، أو عمداً وذلك بالتقصير والإهمال.
2. الغفلة في القرآن الكريم تعني: السهو، أو الانشغال عن الشيء، أو الإعراض وعدم الاعتبار، أو الجهل، أو اللهو واللعب. وقد تكون مضمومة أو محمودة.
3. أسباب الغفلة كثيرة وأهمها: الجهل بالغاية من الخلق، والكفر بالله والإشراك به سبحانه، والظلم، والكبر في الأرض بغير الحق، والصد عن سبيل الله وسلوك سبيل الغي، وتعطيل الحواس والختم على القلب، وصحبة الأشرار، واتباع الهوى، وطول الأمل والاطمئنان إلى الدنيا.
4. عقوبة الغافلين متنوعة في القرآن الكريم وهي: استحقاق دخول النار، والانتقام منهم بالإغراق والهلاك، والصرف عن آيات الله سبحانه، والخسارة خاصة خسارة الهمة والوقت، والخوف.
5. الغفلة عن الخير داء عظيم، وقد حدّد القرآن علاج الغفلة في عدة أمور، أهمها: علو الهمة في الدين والدنيا، وذكر الله بالتسبيح والتلهيل والتحميد وقراءة القرآن والدعاء، والعبادة والتوكل، وصحبة الأبرار والاهتمام بالأخوة الإيمانية والتحول عن البيئة المثبطة الداعية إلى الكسل والخمول، واليقظة والحذر، والعلم والعمل به، والاهتمام بالوقت وترك التسويف والتأجيل.
6. حدّر القرآن الكريم من الغفلة عن أمور كثيرة منها: آيات الله المنظورة والمقروءة، والجهاد في سبيل الله، والموت والآخرة، ومكر الله وعقابه، والعهد والميثاق.

فهرس الآيات الكريمة

الرقم	اسم السورة	الآية	رقم الآية	مواضعها
1	البقرة	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا ...﴾	34	41
		﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ...﴾	44	24
		﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ ...﴾	58	112
		﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ ...﴾	59	112
		﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ...﴾	63	85
		﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ ...﴾	74	111/17/14
		﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ...﴾	79	112
		﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ^٤ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ...﴾	88	47
		﴿وَلَنَجْذِبَهُمْ أَكْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ ...﴾	96	99
		﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا ...﴾	106	24
		﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ...﴾	140	113/14
		﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ ...﴾	146	113
		﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ ...﴾	237	24
2	آل عمران	﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ...﴾	14	53
		﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ ...﴾	28	82
		﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابَ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ...﴾	99	14
		﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ...﴾	169	101
		﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا ...﴾	191	74
		﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾	196	108
		﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ ^٥ وَيَسَّسَ ^٦ الْإِهَادُ﴾	197	108

57	69	﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ ...﴾	النساء	3
80	97	﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْغُلَامَ ظَالِمًا بِنَفْسِهِمْ قَالُوا ...﴾		
80	100	﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْغَمًا ...﴾		
84/16/14/11 99	102	﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ ...﴾		
36	116	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ...﴾		
62	167	﴿... عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾	الأنعام	4
48	52	﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ...﴾		
41	110	﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ ...﴾		
39/15	131	﴿ذَٰلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ ...﴾		
14	132	﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ ...﴾		
34/19/15/12	156	﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ ...﴾	الأعراف	5
51	8	﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ...﴾		
109	96	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم ...﴾		
109	97	﴿أَفَأَمِنْ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ...﴾		
109	98	﴿أَوْأَمِنْ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى ...﴾		
109	99	﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ ...﴾		
36	135	﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجَازَ إِلَىٰ أَجَلٍ ...﴾		
59/36/15/12	136	﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا ...﴾		
43/41/15/12 61	146	﴿سَاصِرُونَ عَنِ ءَايَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ ...﴾		
61	147	﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ ...﴾		
32/30/15	172	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ...﴾		

32/30	173	﴿ أَوْ قُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ ... ﴾		
/62/45/18/15 97	179	﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ ... ﴾		
97	180	﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ ... ﴾		
78	189	﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَجَعَلَ ... ﴾		
31	201	﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ ... ﴾		
70/15/13	205	﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ... ﴾		
72	206	﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ... ﴾		
100	60	﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ... ﴾	الأنفال	6
91/57/52/15	7	﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ ... ﴾	يونس	7
57	8	﴿ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾		
15	29	﴿ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا ... ﴾		
15	92	﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ... ﴾		
74/14	123	﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ ... ﴾	هود	8
97/28/15/12	3	﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا ... ﴾	يوسف	9
15/13/11	13	﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ ... ﴾		
83	53	﴿ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ... ﴾		
62	3	﴿ ... أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾	إبراهيم	10
92	34	﴿ وَءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا ... ﴾		
/26/18/15/11 108	42	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ... ﴾		
23	72	﴿ لَعَنَّاكَ إِنَّهُمْ لَغَفَىٰ سَكَرَتِهِمْ يَعْْمَهُونَ ﴾	الحجر	11
67	94	﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾		

12	النحل	﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ...﴾	83	93
		﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ...﴾	108	63/47/15/11
		﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَسِرُونَ﴾	109	63
13	الإسراء	﴿تَسِجُّ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ...﴾	44	73
14	الكهف	﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ^٤ إِنْ يَقُولُونَ ...﴾	5	40
		﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ...﴾	28	/50/48/17/14 78/63
		﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخَرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ...﴾	63	24
		﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾	67	76
		﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾	68	76
15	مريم	﴿بَيِّنْ حُذِيَ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ ^٥ وَأَيِّنْهُ الْخُلُومَ صَبِيًا﴾	12	67
		﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ...﴾	39	104/20/16
		﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ ...﴾	58	96
16	طه	﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ...﴾	124	98
17	الأنبياء	﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾	1	/68/16/11 105
		﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا ...﴾	2	105
		﴿لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ ^٦ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ...﴾	3	24
		﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ ...﴾	97	106/16
18	الحج	﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ...﴾	47	105
19	المؤمنون	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا ...﴾	17	92/16
		﴿فَذَكَاتُ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى ...﴾	66	95
		﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾	67	95

27/19/16	23	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ ...﴾	النور	20
95	30	﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَذَّبُ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا ...﴾	الفرقان	21
48	111	﴿قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾	الشعراء	22
93	213	﴿فَلَا نَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾		
15	93	﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ ...﴾	النمل	23
16/13	15	﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا ...﴾	القصص	24
35	38	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيَهَا الْمَلَائِكَةُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ ...﴾		
40	59	﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا ...﴾		
69	45	﴿أَتُلْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ ...﴾	العنكبوت	25
26	6	﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ ...﴾	الروم	26
93/26/15/12/97	7	﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾		
93	8	﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ ...﴾		
72	26	﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَلْبُونَ﴾		
78/33	30	﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ ...﴾		
93	20	﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي ...﴾		
81	46	﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطِيكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْغَى ...﴾	سبأ	28
34/15	6	﴿لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَنْذَرْنَا آبَاءَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾	يس	29
85/83	9	﴿أَمَنْ هُوَ قَلْبُكَ إِذَا نَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ ...﴾	الزمر	30
98	22	﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ ...﴾		
41	27	﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ ...﴾	غافر	31
92	57	﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ ...﴾		

32	فصلت	﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ...﴾	5	47
33	الزخرف	﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمُهُ، فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾	54	35
34	الأحقاف	﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا ...﴾	5	37/15
35	الحجرات	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ...﴾	10	78
		﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَكُمْ ...﴾	13	78
36	ق	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْثُورٍ وَسُئِلَ بِهِ نَفْسُهُ ...﴾	16	103
		﴿إِذْ يَنْفَلِقُ الْمَتَلَقَّانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾	17	103
		﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾	18	103
		﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾	19	103
		﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ ...﴾	22	106/16
		﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ ...﴾	36	107
		﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ...﴾	37	107
		﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾	41	107
		﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾	42	107
		﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾	43	107
		﴿يَوْمَ نَشْفِقُ الْأَرْضَ عَنْهُمْ سَرَاعًا ذَلِكَ خَشْرٌ ...﴾	44	107
		﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ ...﴾	45	107
37	الذاريات	﴿قُلِ الْخَرَصُونَ﴾	10	22
		﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾	11	22
		﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	56	32/1
38	النجم	﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾	60	22
		﴿وَأَنْتُمْ سَعِيدُونَ﴾	61	22

39	الرحمن	﴿فَيَايَ آءِآءٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾	13	93
40	الحشر	﴿... فَأَعْتِرُوا يَتَاوُلِي الْأَبْصَرَ﴾	2	62
41	الصف	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومَ...﴾	5	61/42
42	الجمعة	﴿﴿سُورَةُ الْفَاتِحَةِ﴾ الْبَقَّةُ الْغَنَمَاتِ...﴾	5	87
43	المنافقون	﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ...﴾	9	83
44	التغابن	﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّ مِنْ...﴾	14	83
		﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ...﴾	15	83
45	الطلاق	﴿وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ...﴾	3	75
46	المزمل	﴿قُرْأَتِلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾	2	71
47	المدثر	﴿قُرْأَنُذِرْ﴾	2	67
48	النازعات	﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ...﴾	40	50
49	المطففين	﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾	14	47
50	البروج	﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ...﴾	8	102
51	الشمس	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾	9	68
52	العلق	﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾	1	67
53	العصر	﴿﴿١﴾ وَالْعَصْرِ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾	2-1	88
54	الماعون	﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾	4	22
		﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾	5	22

فهرس الأحاديث

الرقم	الحديث	الصفحة
1	" ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ... "	72
2	" إِنَّ الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم ... "	31
3	" إن هذه القلوب تصدأ ... "	47
4	" إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون ... "	73
5	" أي عرى الإسلام أوسط ... "	80
6	" بعثت أنا والساعة كهاتين ... "	106
7	" الحلال بيّن والحرام بيّن ... "	46
8	" ذاك شهر يغفل الناس عنه ... "	90
9	" الرجل على دين خليله ... "	49
10	" العز إزاره والكبرياء رداؤه ... "	41
11	" كل مولود يولد على الفطرة ... "	33
12	" كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن ... "	108
13	" لا إله إلا الله إن للموت سكرات ... "	105
14	" لا تزول قدما عبد يوم القيامة ... "	90
15	" لا يؤمن أحدكم ... "	50
16	" لو كانت الدنيا تعدل ... "	53
17	" ليس كما تقولون ... "	39
18	" ما تقولين في عائشة يا بريرة ... "	28
19	" مثل الجليس الصالح والسوء ... "	80
20	" مثل الذي يذكر ربه ... "	70
21	" من حسن إسلام المرء ... "	90
22	" من سكن البادية جفا ... "	64
23	" من سلك طريقاً يطلب فيه علماً ... "	86

97	" من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ... "	24
28	" يا عائشة أبشري ... "	25
58	" يا عائشة إياك ومحقرات الأعمال ... "	26
53	" يهرم ابن آدم وتشب ... "	27
102	" يوشك الأمم أن تداعى عليكم ... "	28
105	" يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح ... "	29

فهرس المصادر والمراجع

ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد الجزري (ت: 606هـ): **النهاية في غريب الحديث** . 5ج. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي. بلا طبعة. بيروت: المكتبة العلمية. 1399هـ-1979م.

الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي (ت: 1270 هـ): **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**. 30 ج. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه (ت: 256 هـ): **صحيح البخاري** . تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. طبعة جديدة. المنصورة: مكتبة الإيمان. 1423 هـ - 2003 م.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد (ت: 510 هـ): **معالم التنزيل** . تحقيق: خالد عبد الرحمن العك. بلا طبعة. بيروت : دار المعرفة. بلا تاريخ.

البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر (ت: 885هـ): **نظم الدرر في تناسب الآي والسور** . تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي. بلا طبعة . بيروت: دار الكتب العلمية. 1415هـ-1995م.

بكار، عبد الكريم. **كيف نفهم الأشياء من حولنا**. القاهرة: دار السلام. 1429هـ .

أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر . **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير** . ط:5. المدينة المنورة. مكتبة العلوم والحكم. 1424هـ - 2003م.

البيضاوي، أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي(ت: 685 هـ): **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**. بلا طبعة. بيروت: دار الفكر. بلا تاريخ.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي (ت: 279 هـ): **الجامع الصحيح سنن الترمذي**. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون. بلا طبعة. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحلیم الحراني (ت: 728 هـ): **الحسنة والسيئة**. تحقيق: محمد جميل غازي. بلا طبعة . القاهرة: مطبعة المدني. بلا تاريخ.

الجرجاني، علي بن محمد الشريف (ت : 816 هـ): **التعريفات** . بيروت: مكتبة لبنان. 1985م .

ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي محمد (ت: 597 هـ): **التبصرة** . 2 ج. تحقيق: د. مصطفى عبد الواحد. ط: 1. مصر: دار الكتاب المصري. 1390 هـ - 1970م.

.....: **التذكرة في الوعظ** . تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتوح. ط: 1. بيروت: دار المعرفة. 1406 هـ.

.....: **زاد المسير في علم التفسير** . 9 ج . ط: 3. بيروت: المكتب الإسلامي. 1404 هـ.

.....: **صيد الخاطر** . تحقيق: حامد أحمد الطاهر. ط: 1. القاهرة: دار الفجر للتراث. 1424 هـ - 2003م.

.....: **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**. تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي. ط: 1. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1404 هـ - 1984 م.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت: 852 هـ): **هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة** وبحاشيته النقد الصريح لما انتقد من أحاديث المصابيح للإمام العلائي والأجوبة على أحاديث المصابيح للحافظ ابن حجر تخريج العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني. ط: 1. الدمام : دار ابن القيم. 1422 هـ - 2001م.

أحمد بن حنبل، أبو عبدالله الشيباني. **مسند أحمد بن حنبل**. مصر: مؤسسة قرطبة.

حوى، سعيد (ت: 1409 هـ): **الأساس في التفسير** . 11 ج. ط: 1. القاهرة: دار السلام. 1405 هـ - 1985 م .

حومد، أسعد. أيسر التفاسير. بلا طبعة . بلا مكان نشر. بلا تاريخ.

أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (ت: 745 هـ): البحر المحيط. 8 ج. تحقيق: د. زكريا عبد المجيد النوقي، د. أحمد النجولي الجمل، ط: 1. لبنان: دار الكتب العلمية. 1422 هـ - 2001 م
الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم (ت: 741 هـ): لباب التأويل في معاني التنزيل .
7ج. بيروت : دار الفكر. 1399 هـ - 1979 م.

الخراطبي، أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاکر (ت: 327 هـ): اعتلال القلوب.
2ج. بلا طبعة. بلا تاريخ.

الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستي (ت: 388 هـ): العزلة . ط: 2. القاهرة:
المطبعة السلفية. 1399 هـ .

.....:قصيدة عنوان الحكم . تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة . ط: 1. حلب : مكتب
المطبوعات الإسلامية. 1404 هـ - 1984 م.

الخطيب البغدادي، أحمد بن ثابت (ت: 463 هـ): اقتضاء العلم والعمل . تحقيق: محمد ناصر
الدين الألباني. ط: 4. بيروت: المكتب الإسلامي. 1397 هـ.

الخطيب، عبد الكريم. التفسير القرآني للقرآن. 16 ج. بلا طبعة. بلا دار نشر. بلا تاريخ.

ابن خلدون، عبد الرحمن محمد (ت: 1404 هـ): مقدمة ابن خلدون. بلا طبعة. بلا مكان نشر. بلا
تاريخ نشر.

أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث (ت: 175 هـ): الزهد . 2ج. بلا طبعة. دار النشر. بلا
تاريخ.

.....: سنن أبي داود. 4 ج. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. بلا طبعة. دار
الفكر. بلا تاريخ.

دراز، محمد عبد الله (ت: 1958م): **حصاد قلم**. تحقيق: أحمد مصطفى فضلية. ط: 2. القاهرة: دار القلم. 1426هـ - 2008م.

.....: **زاد المسلم للدين والحياة**. تحقيق: أحمد مصطفى فضلية. ط: 2. القاهرة: دار القلم. 1429هـ - 2008م.

دروزة، محمد عزت. **التفسير الحديث**. بلا طبعة. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية. 1383هـ.

الدرويش، محيي الدين (ت: 1403 هـ): **إعراب القرآن الكريم وبيانه**. 10 مج. ط: 3. سوريا: دار الإرشاد للشؤون الجامعية. 1412 هـ - 1992م.

الذهبي، شمس الدين (ت: 748هـ): **الكبائر**. تحقيق: سعد يوسف أبو عزيز. ط: 2. القاهرة: دار الفجر للتراث. 1425هـ - 2004م.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت: 721 هـ): **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**. 32 ج. ط: 1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1421 هـ - 2000م.

الأصفهاني، الحسين بن محمد بن الفضل الراغب (ت: 502 هـ): **المفردات في غريب القرآن**. تحقيق: محمد سيد كيلاني. لبنان: دار المعرفة.

ابن رجب الحنبلي، أبو الفرج عبد الرحمن البغدادي الدمشقي (ت: 795هـ): **لطائف المعارف**. بلا طبعة. بلا مكان نشر. بلا تاريخ.

.....: **مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي**. 5 مج. تحقيق: ناصر النجار. ط: 3. مصر: مكتبة أولاد الشيخ للتراث. 1430هـ - 2009م.

رضا، محمد رشيد (ت: 1354 هـ): **المنار**. 12 ج. ط: 2. القاهرة: دار المنار. 1366 هـ - 1947م.

الزحيلي، وهبة. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. 30 ج. ط: 10. دمشق: دار الفكر. 1430 هـ - 2009 م.

.....: التفسير الوسيط. 3 ج. ط: 1. دمشق: دار الفكر. 1422 هـ - 2001 م.

الزركلي، خير الدين. الأعلام. ط: 5. بيروت: دار العلم للملايين. 1980 م. 175/8.

الخوارزمي، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري (ت: 538 هـ): أساس البلاغة: دار الفكر. 1399 هـ - 1979 م.

.....: أطواق الذهب في المواعظ والخطب. تحقيق: أسماء أبو بكر محمد. ط: 1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1414 هـ - 1994 م.

.....: الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. 4 ج. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت: 307 هـ): تهذيب اللغة. تحقيق: محمد عوض مرعب. ط: 1. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 2001 م.

زيدان، عبد الكريم. الوجيز في أصول الفقه. ط: 5. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1417 هـ - 1996 م.

السباعي، مصطفى (ت: 1964 م): هكذا علمتني الحياة. ط: 1. بيروت: دار الوراق. 1420 هـ - 1999 م.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت: 1376 هـ): تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق: ابن عثيمين. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1421 هـ - 2000 م.

أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت: 951 هـ): إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

السكران، إبراهيم بن عمر. **الطريق إلى القرآن**. ط:1. الرياض: مركز الفكر المعاصر. 1433هـ .

السلمي، أبو عبد الرحمن (ت: 412هـ): **آداب الصحبة**. تحقيق : مجدي فتحي السيد. ط:1. مصر
دار الصحابة للتراث. 1410 هـ - 1990.

.....: **عيوب النفس** . تحقيق: مجدي فتحي. بلا طبعة. طنطا: مكتبة الصحابة.

السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث (ت: 373 هـ): **بحر العلوم** . تحقيق: محمود
مطرجي. بلا طبعة. بيروت: دار الفكر.

السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار (ت:489هـ): **تفسير السمعاني** . 6
ج. تحقيق : ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. ط :1. الرياض : دار الوطن. 1418هـ-
1997م.

الشربيني، الخطيب محمد بن أحمد (ت: 977 هـ): **السراج المنير** . 4ج. بلا طبعة. بيروت : دار
الكتب العلمية. بلا تاريخ.

الشعراوي، محمد متولي (ت: 1418 هـ): **المختصر المختار من تفسير الشعراوي للقرآن الكريم** .
20 مج. تحقيق: فريد إبراهيم. ط: 1. دار الروضة. بلا تاريخ.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني (ت:1393هـ): **أضواء البيان في إيضاح
القرآن بالقرآن**. تحقيق : مكتب البحوث والدراسات. بيروت: دار الفكر. 1415هـ-1995م.

شوقي، أحمد (ت:1351هـ): **الشوقيات**. 2ج. ط:1. بيروت: دار العودة. 1409هـ - 1988م.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت : 1255 هـ): **فتح القدير الجامع بين فني الرواية
والدراية من علم التفسير**. 5ج. بيروت : دار الفكر.

أبو طالب المكي، محمد بن علي بن عطية الحارثي (ت: 386 هـ): قوت القلوب في معاملة
المحبيب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد . تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي. ط: 2. بيروت:
دار الكتب العلمية.

طالب، نور الدين. مقالات الألباني. ط: 2. السعودية. 1422 هـ - 2001 م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد (ت: 310 هـ): جامع البيان عن تأويل آي
القرآن . بيروت: دار الفكر. 1405 هـ.

ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي (ت: 880 هـ): اللباب في علوم الكتاب .
20 ج . تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. ط: 1. بيروت: دار الكتب
العلمية. 1429 هـ - 1998 م .

ابن عاشور، محمد الطاهر (ت : 1284) : التحرير والتنوير ، 12 مج . تونس : دار سحنون .
1997 م .

عباس ، فضل (ت : 1432 هـ): البلاغة فنونها وأفنانها . ط4. الأردن: دار الفرقان للنشر
والتوزيع. 1417 هـ - 1997 م .

عبد الباقي، محمد فؤاد (ت: 1388 هـ): المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. مصر: دار الكتب
المصرية. 1364 هـ.

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله النمري (ت: 463 هـ): أدب المجالسة وحمد اللسان وفضل البيان
وذم العي وتعليم الأعراب. تحقيق: سمير حليبي. ط: 1. طنطا : دار الصحابة للتراث. 1409 هـ -
1989 م.

.....: بهجة المجالس وأنس المجالس. بلا طبعة. بلا دار نشر. بلا تاريخ.

.....:عبد الحميد ، محمد محيي الدين (ت: 1392هـ): شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحه الجليل . 4ج. تحقيق شرح ابن عقيل. القاهرة: مكتبة دار التراث. 1420 هـ - 1999م .

ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله (ت: 543هـ): أحكام القرآن . تحقيق: محمد عبد القادر عطا. بلا طبعة. لبنان: دار الفكر. بلا تاريخ.

ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق (ت: 541هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. 5 ج. تحقيق: عبد الله إبراهيم الأنصاري، السيد عبد العال السيد إبراهيم. ط: 1. قطر: مؤسسة دار العلوم للطباعة والنشر. 1405 هـ-1985م.

العظيم آبادي، محمد شمس الحق (ت: 1329هـ): عون المعبود شرح سنن أبي داود . ط: 2. بيروت: دار الكتب العلمية. 1995م.

العفاني، سيد بن حسين. ترطيب الأفواه بذكر من يظلمهم الله . ط: 2. القاهرة: دار العفاني. 1427هـ-2006م.

.....: صلاح الأمة في علو الهمة. قدم له الشيخ محمد صفوت نور الدين. ط: 2. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1427هـ-2006م.

العلي، إبراهيم محمد. هل سينتصر الإسلام. بلا طبعة. الأردن: دار العلوم. بلا تاريخ.

العيني، بدر الدين محمود بن أحمد (ت: 855هـ): عمدة القاري شرح صحيح البخاري . بلا طبعة. بيروت: دار إحياء التراث العربي. بلا تاريخ.

أبو غدة، عبد الفتاح (ت: 1417هـ): قيمة الزمن عند العلماء. ط: 4. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية. 1407 هـ - 1987م .

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت: 505هـ): إحياء علوم الدين . ط:4. بيروت: دار الكتب العلمية. 1426هـ - 2005م.

ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا (ت: 395 هـ): معجم مقاييس اللغة. 6 مج. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط:2. بيروت، لبنان: دار الجيل. 1420 هـ - 1999م.

فريد، أحمد. البحر الرائق في الزهد والرقائق. ط:3. المكتبة التوفيقية. بلا تاريخ.

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (ت:1332هـ): موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين . تحقيق: محمود بن محيي الدين الجنان . بلا طبعة. بيروت: دار الكتب العلمية. 1415هـ - 1995م.

القحطاني، سعيد بن علي بن وهف. الغفلة (مفهومها وخطرها وعلاماتها وأسبابها وعلاجها) ، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، (1427 هـ).

القرضاوي، يوسف. الأسرة كما يريد الإسلام. ط:1. القاهرة: مكتبة وهبة. 1426هـ - 2005م.
.....: الوقت في حياة المسلم. ط:4. القاهرة: مكتبة وهبة. 1424هـ - 2004م.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت: 671هـ): الجامع لأحكام القرآن . بلا طبعة. القاهرة: دار الشعب. بلا تاريخ.

القرني، عائض بن عبد الله. إلى الذين أسرفوا على أنفسهم . ط:2. بيروت: دار ابن حزم. 1422هـ - 2001م.

.....: بهجة التفاسير. بلا طبعة. بلا تاريخ نشر.

.....: حدائق ذات بهجة. ط:2. بيروت: دار ابن حزم. 1420هـ - 1999م.

القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر ابن الشهاب (ت: 454هـ): مسند الشهاب. 2ج. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. ط:2. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1407 هـ - 1986م.

- قطب ، سيد بن إبراهيم (ت: 1385 هـ): في ظلال القرآن . 6 مج. الطبعة الشرعية الأولى 1972م، الطبعة الشرعية الخامسة والعشرون 1996م. القاهرة: دار الشروق .
-: معالم في الطريق. ط:2. فلسطين. 2006م.
- قطب، محمد. قبسات من الرسول. ط:4. القاهرة: دار الشروق. 1422هـ-2001م.
- ابن القيم ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: 751هـ): إعلام الموقعين عن رب العالمين. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. بلا طبعة. بيروت: دار الجيل. 1973م.
-: إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان . 2ج. تحقيق محمد حامد الفقي. ط: 2. بيروت: دار المعرفة. 1395هـ - 1975م.
-: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي(الداء والدواء). بلا طبعة. بيروت: دار الكتب العلمية. بلا تاريخ.
-: روضة المحبين ونزهة المشتاقين . بلا طبعة. بيروت: دار الكتب العلمية. 1412هـ - 1992م.
-: طريق الهجرتين وباب السعادتين . تحقيق: محمد أحمل الإصلاحي. ط: 1. السعودية: دار عالم الفوائد. 1429هـ.
-: الفوائد . ط:2. بيروت: دار الكتب العلمية. 1393هـ - 1973م.
-: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. تحقيق: محمد حامد الفقي. ط:2. بيروت: دار الكتاب العربي. 1393هـ - 1973م.
-: مفتاح دار السعادة. قدم له وضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه: علي بن عبد الحميد. ط:1. السعودية: دار ابن عفان. 1416هـ - 1996م.

..... : الوابل الصيب من الكلم الطيب . تحقيق: مصطفى بن العدوي. ط: 1.
المنصورة: دار ابن رجب. 1423هـ - 2003م.

ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت: 774 هـ): تفسير القرآن العظيم . 4 ج .
بيروت: دار الفكر. 1401 هـ.

الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت: 1094 هـ): الكليات . ط: 2. بيروت: مؤسسة
الرسالة. 1419 هـ - 1998م.

الكلبي، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي (ت: 741 هـ): التسهيل لعلوم التنزيل . 4 مج. لبنان:
دار الكتاب العربي. 1403 هـ - 1983م.

ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني (ت: 273 هـ): سنن ابن ماجه . تحقيق: محمد فؤاد
عبد الباقي. بيروت: دار الفكر.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت: 450 هـ): أدب
الدنيا والدين.

..... : النكت والعيون (تفسير الماوردي). تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد
الرحيم. بلا طبعة. بيروت: دار الكتب العلمية. بلا تاريخ.

المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت: 1353 هـ): تحفة الأحوذ في شرح
سنن الترمذي. بلا طبعة. بيروت: دار الكتب العلمية. بلا تاريخ.

المتنبي، أحمد بن الحسين الجعفي أبو الطيب (ت: 354 هـ): ديوان المتنبي . بلا طبعة. بيروت:
دار بيروت للطباعة والنشر. 1403 هـ - 1983م.

المحلي ، جلال الدين محمد بن أحمد (ت : 864 هـ): تفسير الجلالين . ط: 1. القاهرة: دار
الحديث.

محمد صالح ، عبد الله ميرغنى . **الابتلاء وأثره في حياة المؤمنين** . بلا طبعة. الرياض: دار
الاعتصام. بلا تاريخ.

مراد، مصطفى. **منهاج المؤمن**. ط:2. القاهرة: دار الفجر للتراث. 1425هـ - 2004م.

المراغي، محمد مصطفى (ت: 1364هـ): **تفسير المراغي**. 30ج. ط:1. مصر: مطبعة مصطفى
النبلي الحلبي وأولاده . 1365هـ - 1946م.

مسلم، ابن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت: 261هـ): **صحيح مسلم**. 4 ج. تحقيق :
محمد فؤاد عبد الباقي. ط:1. بيروت : دار إحياء التراث العربي. 1412هـ - 1991م.

مصطفى ، إبراهيم وآخرون : **المعجم الوسيط** . تحقيق : مجمع اللغة العربية : دار الدعوة .
1381هـ - 1961م.

المقدم، محمد بن إسماعيل. **علو الهمة**. بلا طبعة. القاهرة: دار ابن الجوزي. بلا تاريخ.

المنائوي، عبد الرؤوف (ت : 1031 هـ): **التوقيف على مهمات التعاريف** . تحقيق : عبد الحميد
صالح حمدان . ط:1 . القاهرة : عالم الكتب 1410 هـ - 1990 م .

ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت: 175 هـ): **لسان العرب**. 15 مج. بيروت: دار
الصادر. ط1/1410 هـ.

الناقليسي، محمد راتب. **نظرات في الإسلام**. ط:5. دمشق: دار المكتبي. 1428هـ - 2007م.

النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن (ت: 303هـ): **سنن النسائي(المجتبى)**. تحقيق: عبد
الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن. ط:1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1411هـ -
1991م.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (ت: 701 هـ): **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** .
4 ج.

النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي (ت: 728 هـ): غرائب القرآن و رغائب الفرقان . 6ج. تحقيق: الشيخ زكريا عميران. ط: 1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1416 هـ - 1996 م.

ابن الهائم المصري، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت: 815 هـ): التبيان في تفسير غريب القرآن. ط: 1. القاهرة: دار الصحابة للتراث. 1992 م.

الهروي، عبد الله الأنصاري (ت: 481 هـ): منازل السائرين . بيروت: دار الكتب العلمية. 1408 هـ - 1988 م.

أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله (ت: 420 هـ): الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه. تحقيق: د. مروان قباني. ط: 1. بيروت: المكتب الإسلامي. 1406 هـ - 1986 م.

الهاللي، مجدي. تحقيق الوصال بين القلب والقرآن . ط: 1. القاهرة: مؤسسة اقرأ. 1429 هـ - 2008 م.

الواحدي، علي بن أحمد أبو الحسن (ت: 468 هـ): الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . 2ج. ط: 1. دمشق: دار القلم . 1415 هـ.

An-Najah National University

Faculty of Graduate Studies

Inattention / Quran Study

By

Nahel Ibrahim Eesa

Supervisor

Dr. Odeh Abd Allah

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Fundamentals of Islamic law (Usol Al-Din) , Faculty of Graduate Studies An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2014

Inattention :Qur'an Study

Prepared by

Nahel Ibrahim

Supervised by

Dr. Odeh Abd Allah.

Abstract

This study aimed to introduce the subject matter (Inattention) and the threat to the individual and the Muslim community , and the statement of methods of treatment and prevention, have followed an analytical approach extrapolated by collecting verses on the subject , and the collection and interpretation of the sayings of scholars around.

This study is divided into an introduction and five chapters and a conclusion.

Dealt with in the first chapter definition language idiomatically and collection of verses relating there to, and said analogues and types in the Qur'an.

Chapter two spoke about the reasons for an Inattention of ignorance, disbelief , and injustice , and arrogance , and repulsion for the sake of God , and the disruption of the senses , and the company of the wicked , and follow the passion , and the length of the hope and confidence to the world.

Chapter three talked about the death unsuspecting and retaliation that Allah Almighty them , and exchange for the ayatollahs , and loss, and fear , and the entry of fire.

Chapter four talked about the treatment of inattention and so highly motivated , and the remembrance of Allah , worship and trust , and the company of the righteous , and vigilance , and science and work , time and attention.

Chapter five stating models for other things , warned of negligence by the Qur'an.

Conclusion and then showed the most important findings of the most important results that Muslims living in an Inattention must be vigilant and careful to do the right slavery to God

Almighty as God wanted , as he has done Prophet Muhammad and his companions , God bless them.

